البحث الثالث

منهجية الحوار الديني
من خلال آيات القرآن الكريم
قواعد البناء وسلامة المخرجات

تأليف

د/ محمد علي إبراهيم محمود حمد
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية
كلية أصول الدين والدعوة بطنطا
جامعة الأزهر

منهجية الحوار الديني من خلال آيات القرآن الكريم

قواعد البناء وسلامة المخرجات

محمد علي إبراهيم محمود حمد

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين بطنطا، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: MohamedAli.el.٦٦@azhar.edu.eg

الملخص: ثمة علاقة وثيقة بين آيات القرآن الكريم من جانب والحوار الديني من جانب آخر، وتأتي تلك العلاقة لتقرر مدى التكامل بين العلوم ومدى الترابط بينها، وفي الوقت ذاته تبيَّن مدى تلك المنهجية التي تربط بينهما، بما يضمن قواعد البناء التي يُبنى عليها علم الحوار الديني بما يُستنبط من آيات القرآن الكريم، ثم مدى سلامة النتائج المترتبة على ذلك أيضا، وقد جاءت تلك الدراسة لتبحث في هذا كله، ولتبيّن مدى الأثر الذي تتركه آيات القرآن الكريم بما تحمله من قواعد بناء، بما يؤسس لبناء حوار ديني هادف، وأيضا سلامة النتائج التي تحمله آيات القرآن الكريم بما يؤثر على سلامة النتائج التي تتمخض عن الحوار الديني الصحيح، واتبعتُ في هذا البحث المنهج التكاملي التحليلي، والوصفي، والتاريخي أو الاستردادي، وأثبتت الدراسة بما لا يدع مجالا للشك أن صورة التكامل بين العلوم لم يخلو منها القرآن الكريم إطلاقا، بل إنه أقامها وعرضها ، واتضح أيضا أن علم الحوار الديني لابد له من قواعد وأصول ومناهج يتم من خلالها تحييده وتقيده بها؛ حتى تتم النتائج وتقع في أتم صحة وأبين سلامة، وتبيَّن أيضا – بفضل الله تعالى – من خلال تلك الدراسة أن الفصل بين العلوم – المترابطة والمتصلة ببعضها – له عواقب وخيمة على النتائج والمقررات، ويتضح من الدراسة أيضا أن كل قضايا الإسلام – فيما يتعلق بالحوارات الدينية – بفضل الله تعالى: قائمة على النقل الصحيح (أعني من القرآن الكريم قطعا، وأما من السنة النبوية فلابد من الاستيثاق)، وقائمة أيضا على المبادئ العقلية، والنزوع إلى الفطرة السليمة، والانطلاق من الآيات الكونية والإنسانية والتحكام إليها، وأوصي بضرورة الاهتمام بالتوسع في دراسة التكامل بين العلوم بعضها البعض، وبيان أثر ذلك على تجديد تلك العلوم، مع ضرورة الاهتمام بدراسة الحوارات والمناقشات والمجادلات التي تخدم الدعوة الإسلامية، وتضمين ذلك للمناهج الدراسية، ثم ضرورة التقيد بالقواعد المنهجية في كل العلوم، مع بيان أثر الالتزام بتلك القواعد على نتائج هذه العلوم .

الكلمات المفتاحية: منهجية، الأديان، الحوار، الديني، قواعد، مخرجات.

Methodology of religious dialogue through verses of the Holy Quran Construction rules and output safety

Muhammad Ali Ibrahim Mahmoud Hamad

Department of Islamic Call and Culture, Faculty of Fundamentals of Religion in Tanta, Al-Azhar University, Egypt.

E-mail: MohamedAli.el. ٦٦@azhar.edu.eg

Abstract;

There is a close relationship between the verses of the Holy Qur'an on the one hand and religious dialogue on the other hand, and that relationship comes to determine the extent of integration between the sciences and the extent of interconnection between them, and at the same time shows the extent of that methodology that links them, In a way that ensures the building rules upon which the science of religious dialogue is built, based on what is deduced from the verses of the Holy Qur'an, and then the extent of the soundness of the results resulting from that as well. This study came to examine all of this, and to show the extent of the impact that the verses of the Holy Qur'an leave with the building rules they contain, including It establishes the foundation for building a meaningful religious dialogue, as well as the integrity of the results conveyed by the verses of the Holy Qur'an, which affects the integrity of the results that result from true religious dialogue, In this research, I followed the integrative analytical, descriptive, historical or retrospective approach, and the study proved beyond a doubt that the image of integration between the sciences was not devoid of it in the Holy Qur'an at all, but rather it established and presented it. It also became clear that the science of religious dialogue must have rules, principles and methods. Through which he is neutralized and restricted by it; Until the results are complete and you are in complete health and safety, It also became clear - thanks to God Almighty - through that study that separating the sciences - which are interconnected and related to each other - has serious consequences on the results and decisions. It also becomes clear from the study that all issues of Islam - with regard to religious dialogues - thanks to God Almighty: are based on authentic transmission (I mean definitely from the Holy Qur'an, and as for the Sunnah of the Prophet, it must be confirmed), and it is also based on rational principles, and the tendency to common sense, Starting from the cosmic and human verses and adhering to them, I recommend the need to pay attention to expanding the study of integration between the sciences and explain the impact of this on the renewal of those sciences, with the need to pay

attention to the study of dialogues, discussions and debates that serve the Islamic call, and to include that in the school curricula, then the need to adhere to the methodological rules, In all sciences, With an explanation of the impact of adherence to these rules on the results of these sciences.

Keywords: Methodology, Religions, Dialogue, Religious, Rules, Outcomes.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـدمة

الحمد لله الذي أبان الحق وأظهر عليه الأدلة، ودحض الباطل بما جعل من تقرير تلك الملَّة، وأنزل كتبه وجعل فيها تمام المنَّة، وأرسل رسله وجعل لازم اتباعهم الجنَّة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل اختلاف الأديان سنَّة كونية، ودعا عباده إلى اتباع الآيات النقلية والعقلية، وحذَّرهم من اتباع الشيطان وسبله السفلية.

وأشهد أن محمدا عبده ورسله، وصفيه من خلقه وخليله، وأمين وحيه وحبيبه، سيد أوليائه، وإمام أتباعه، وأشرف رسله، وأطهر خلقه، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليما كثيرا.

أما بعد، فلا ريب في أن الله تعالى قد اقتضت حكمته البالغة، وشاءت إرادته النافذة، اختلاف البشر في أديانهم وأمزجتهم، وميولهم وطبائعهم، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [هود: ١١٨– ١١٩]، ولهذا فقد تباينت العقول، وتنوعت المدارك، واختلفت الرؤى، وتعددت الآراء، وتمايزت الأديان، ما بين دين حق، وآخر محرَّف عن هذا الحق، وثمة ثالث وضعي لا يمتُّ إلى تعاليم السماء بصلة.

ولمَّا كان هذا الاختلاف بين الأديان واقعا، كان من الطبيعي أن يحتكَّ أتباع كل دين بآخر، ويدافع أتباع كل دين عن معتقده الذي يعتقد، ومذهبه الذي يعتد، ورؤاه التي يمجِّد، وتصوراته التي لها يقعِّد.

هذا، ولمَّا كان الإسلام هو خاتمة الرسالات السماوية، وقد قامت على حقيقته الأدلة الظاهرة الجلية، كان من الطبيعي أن يجد له خصوما من أتباع أديان أخرى يريدون إخفاء حقيقته، وطمس معالمه، وإطفاء نوره، وهذا كما قال القرآن الكريم: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقال أيضا: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [التوبة: ٣٢]

ولما كانت الحملات على دين الله متوالية، وقذائف الباطل عليه متتابعة، قام علماء الإسلام بالذبِّ عن هذا الدين القويم، وبيان صراطه المستقيم، ولم يظل موقفهم ثابتا على مبدأ الدفاع فقط، بل تطرق الأمر إلى خطة الهجوم، بالقلم والسِنان، والحجة والبرهان، ومن هنا كثرت الدراسات العلمية، في علم مقارنة الأديان من جانب، وقام الحوار بين الأديان المختلفة من جانب آخر.

وغير خافٍ على الإطلاق أن القرآن الكريم قد اتخذ من دعوة المخالفين عدة مناهج، وأبان عن عدة طرائق، ونوَّع من أساليب دعوته، وأفصح عن عدة سبل يمكن من خلالها دعوة غير أتباع الإسلام الحنيف.

ومن تلك الأساليب التي اتخذها القرآن الكريم ودعا إليها، وحثَّ على التمسك بها: أسلوب الحوار؛ إذ إنه قد ذكر هذا الأسلوب في أكثر من سورة، واتخذه سبيلا إلى تقرير المراد، والقطع بالمطلوب، وأقام به الحجة على المخالف، وقطع به العذر عن كل متعلل، وأبان به الحق وأقام عليه الأدلة، ودحض الباطل وكرَّ عليه بالحجة.

وبما أقام به القرآن ودعا إليه، تتقرر حقيقة ماثلة، وتظهر شارة واضحة، وهي أن القرآن الكريم قد أرسى قواعد عدة للحوار الديني مع المخالف، وأبان عن عدة أمور تمثل منهجية تضبط هذا الحوار وتبتعد به عن معالم الخلط والعشوائية وضياع المنهجية وفقدان الدقة، وفي الوقت ذاته يتمخض عنها (أي تلك القواعد والأمور) نتائج صحيحة؛ بناء على صحة القواعد التي بُنِيَتْ عليها.

ومن هنا كانت تلك الدراسة، التي حاولتُ فيها إبراز ما للحوار في أطره وأسسه ومنهجيته من قواعد، تلك التي أرساها القرآن الكريم، وكذا النتائج (المخرجات) الصحيحة التي ذكرها القرآن الكريم أيضا، بما تمخض من تلك القواعد المنهجية.

فكانت الدراسة بفضل الله تعالى وحده آخذة بجامع الأمرين، مبيَّنة قواعد البناء لمنهجية حوارية منضبطة وما يمكن استخلاصه من آيات القرآن الكريم، ذاكرةً كيف يمكن العمل على سلامة المخرجات وصحة النتائج فيما يتعلق بالحوار من خلال هذا الكتاب العظيم (القرآن الكريم).

فإن وُفقت في هذا كله فمن الله تعالى وحده، فله كامل الحمد، وعظيم الشكر، ووافر الامتنان، وجزيل العرفان، وإن كانت الأخرى فمني ومن الشيطان، والله بريء منه، وحسبي أنني بشر أخطيء كما يخطئ البشر. وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهمية الموضوع:

تكوَّنت عدة أمور مثَّلت حلقة متكاملة يتقرر من خلالها أهمية هذا الموضوع، ومن ذلك:

أولا: أن ما ذكره القرآن الكريم واستخدمه (وهو الحوار الديني مع المخالف) يمثل أهمية بالغة؛ إذ إن القرآن الكريم لا يذكر إلا: الأقوى أثرا، والأعظم أهمية، والأشد تأثيرا، وحاشا القرآن الكريم أن يذكر ما هو أقل من ذلك.

ثانياً: يعمل هذا الموضوع على وضع منهجية محكمة تربط بين الحوار الديني ونتائجه التي يتمخض

عنها، بما يضمن صحة تلك النتائج بفضل الله تعالى وحده.

ثالثاً: يتمخض عن هذا الموضوع بيان التكاملية المنهجية والتواصلية بين أنواع العلوم المختلفة، (كالحوار الديني وعلم مقارنة الأديان – على اعتبار أن كلا منهما له علاقة بالآخر في بعض الجوانب) ما يضمن قوتها من جانب، ويضمن استمرارية عطائها من جانب آخر.

رابعاً: بيان سَبْقِ القرآن الكريم في كيفية ربط العلوم ببعضها، وإحالة كلٍ على كلٍ، واستخدام كلٍ في خدمة القرآن والسنة النبوية المباركة.

خامسا: يعمل هذا الموضوع على إبراز جوانب القوة في إدارة الحوار الديني بما يؤصل لمنهجية حوارية يمكن من خلالها الوصول إلى المطلوب، في قوة نتائج وسلامة مخرجات صحيحة هادفة.

الجديد في تلك الدراسة:

ثمة أبحاث تناولت (الحوار الديني في القرآن الكريم)، لكنها تشابهت مع هذا البحث في العنوان، واختلفت معه في المحتوى والمضمون، ومن تلك الأبحاث ما يلي:

أ- دراسة بعنوان (الحوار الديني في القرآن – طبيعته وأهم قواعده)، للباحث/عمر بن سكا، يقع في ٣٦ صفحة، منشور في مجلة (الصراط) المجلد (٢١)، العدد (٣)، ديسمبر (٢٠١٩)، المركز الوطني لتكوين مفتشي التعليم – الرباط – المغرب.

ويتكون من:

المبحث الأول: المعني اللغوي والاصطلاحي لمفردة الحوار.

المبحث الثاني: دلالات الحوار في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: مفهوم الأديان في القرآن ودلالاته.

المبحث الرابع: من قواعد وأصول الحوار الديني في القرآن الكريم، وتلك القواعد التي ذكرها هي (الكلمة السواء – سنة التدافع – الاستدلال العقدي – لا إكراه في الدين – الحكمة والموعظة الحسنة – الترغيب والترهيب).

هذا، والبحث برمته يختلف جملة وتفصيلا عما أتناوله، فجميع القواعد المنهجية التي سأذكرها – بإذن الله تعالى – تختلف عن القواعد التي ذكرها البحث السابق، اللهم إلا في قاعدة واحدة، وهي (الكلمة السواء).

فضلا عن أن بحثي يأتي بجديد لم تذكره الدراسة السابقة إطلاقا، وهي مُخرجات هذا الحوار الديني.

ب- دراسة بعنوان (الحوار في ضوء القرآن: مفهومه – أنواعه – آدابه)، د/ آمال فهيم محمد زيدان،

منشور ضمن أعمال المؤتمر العلمي الدولي الأول لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالسادات، جامعة الأزهر ١٤٤٣هـ – ٢٠٢١. يقع البحث في ٣٩ صفحة، ويتكون من:

المبحث الأول: مفهوم الحوار.

المبحث الثاني: أنواع الحوار في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: آداب الحوار، مثل (المحاورة بالحسني – التواضع – احترام المحاور وكسب وده – استخدام الأسلوب العقلي والمنطقي – الحلم والصبر).

المبحث الرابع: الحوار عبر التقنيات الحديثة.

ومن هذا يتضح أن هذه الدراسة تختلف هي الأخرى عن مضمون بحثي؛ إذ إن آداب الحوار غير قواعده المنهجية بلا شك، فضلا عن نتائج ومخرجات هذا الحوار، التي لم تتعرض لها أيضا الدراسة السابقة.

هذا، ورغم تلك المؤلفات الكثيرة التي تناولت الحوار، في صورة الكتب والمؤلفات العلمية، في كل ما يتعلق به: من تعريف وأصول، وآداب، وقواعد، رغم هذا كله يزعم الباحث أن ثمة جديدا ترنو تلك الدراسة إلى إيضاحه والكشف عن مكنونه، ولا يقلل هذا إطلاقا من تلك الدراسات التي سبقت، بل الاستفادة منها قائمة، والرجوع إليها متوالٍ، وهي العمدة في هذا الباب، وعليها التعويل ومنها الاستفادة.

وهذا الجديد – في زعْمِ الباحث – ما يلي:

أولاً: الخروج بدراسة مستقلة تجمع بين الحوار في منهجيته والتقعيد له، فضلا عن سلامة المخرجات الناجمة عنها.

ثانياً: بيان منهج القرآن الكريم في جمعه تلك العلاقة المشار إليها، والكشف عن مواطن ذلك في ثنايا سوره، واستخلاص أهم دلالاتها ومضامينها.

ثالثاً: إيضاح وبيان القواعد والأصول والأسس التي عرضها القرآن الكريم، فيما يؤدي إلى بناء حوار هادف منهجي صحيح.

رابعاً: بيان أن صحة نتائج الحوار – إذا التُزمت فيها المنهجية المنضبطة – هي نفسها التي أشار إليها القرآن الكريم، وأن كلا من الأمرين يصبان في بوتقة واحدة.

خامسا: بيان سبق القرآن الكريم في بيانه تلك القواعد المنهجية المؤدية إلى حوار ديني منضبط، وأنه سبق جميع الدراسات المعنية بهذا الشأن، بما فيها الدراسات العربية والغربية على السواء.

أهداف الدراسة:

تهدف تلك الدراسات إلى تحقيق بضعة مقاصد وأهداف تعمل على تحقيقها، ومن ذلك ما يلي:

أ- استخلاص القواعد المنهجية التي يشتمل عليها القرآن الكريم فيما يخدم الحوار الديني.

ب- الدعوة إلى ضبط الحوار الديني من خلال منهجية منضبطة.

ج- إلزام الخصم في الحوار معه بما يضمن سلامة الحوار من جانب، وإقامة الحجة عليه من جانب آخر.

د- بيان الكشف عن مضمون الحوار الديني الهادف، غير المميَّع ولا المغرض، بما يخدم الدعوة الإسلامية ويصب في صالحها.

هـ- بيان أوليّة القرآن الكريم وأصالته في هذا المضمار، بما يقرر أهمية رجوع الدراسات المعنية بالحوار إلى أصالته (أي القرآن الكريم) في المنهجية، وسلامته في المخرجات.

منهجي في البحث:

ثمة مناهج دعت طبيعة الدراسة إلى التقيد بها والسير في فلكها، بما سيؤدي – إن شاء الله تعالى – إلى صحة النتائج منها، وهذه المناهج هي:

١- **المنهج التحليلي:** وهو منهج يقوم على دراسة الإشكالات العلمية المختلفة: تفكيكا أو تركيبا أو تقويما.

٢-**المنهج الوصفي:** والذي يعني: دليل علمي يهدي إلى القضايا، أو الموضوعات، أو المصطلحات، أو الإشكالات العلمية، فيصفها كمَّاً أو كيفاً، أو هما معا، بطريقة منهجية، دون أن يبدي رأيا تعليليا أو تفسيريا لوضعها وطبيعتها)[١].

٣- **المنهج التاريخي أو الاسترادادي:** وهو الذي نقوم فيه باسترداد الماضي، تبعاً لما تركه من آثار، أيَّاً كان نوع هذه الآثار)[٢].

كما لا غني لي عن بقية المناهج الأخرى أثناء الدراسة، متى دعت الحاجة إليها والتقيّد بها.

تقسيم الدراسة:

جاءت تلك الدراسة في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة، فأما المقدمة فبيَّنتُ فيها الجديد في تلك الدراسة،

---

(١) ينظر: أبجديات البحث في العلوم الشرعية – محاولة في التأصيل المنهجي، د/ فريد الأنصاري، ص٦٦، ٩٦، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م. الطبعة الأولى.

(٢) مناهج البحث العلمي، د/ عبد الرحمن بدوي، ص١٩، الكويت، وكالة المطبوعات ١٩٧٧م. الطبعة الثالثة.

وكذا أهداف تلك الدراسة، فضلا عن تقسيم الدراسة.

وأما التمهيد فقد اشتمل على:

أولاً: بيان مفردات عنوان البحث.

ثانياً: بيان العلاقة بين الحوار الديني وضرورة المنهجية فيه.

وأما مبحثا تلك الدراسة فقد جاءا على النحو التالي:

المبحث الأول: قواعد البناء المنهجية للحوار الديني من خلال آيات القرآن الكريم.

وفيه سبعة مطالب، وهي:

المطلب الأول: الموضوعية. المطلب الثاني: تحديد الألفاظ وعدم التعميم.

المطلب الثالث: إقامة الدليل. المطلب الرابع: وثاقة النص أو القول.

المطلب الخامس: العلم بموضوع الحوار، وكذا فهمه.

المطلب السادس: الانطلاق في الحوار من المبادئ المتفق عليها.

المطلب السابع: تحرير محل النزاع.

المبحث الثاني: بيان مخرجات الحوار الديني من خلال آيات القرآن الكريم.

ويشتمل على ستة مطالب، وهي:

المطلب الأول: إزالة الشبهات. المطلب الثاني: إعمال العقول وإلغاء التقليد.

المطلب الثالث: إقامة الحجة. المطلب الرابع: بيان الحق وتقريره.

المطلب الخامس: تصحيح المفاهيم.

المطلب السادس: قوة اليقين.

وأما الخاتمة فهي تشتمل على النتائج والتوصيات، ثم قائمة المصادر والمراجع، وكذا الفهرس.

التمهيد

أولاً: بيان مفردات عنوان البحث

لا مرية في أن تحديد المفاهيم وكذا تحديد أطرها ومبانيها اللفظية ومن ثَمَّ المعنوية، يساهم بشكل واضح في تحديد المراد والقطع بالمطلوب، لا سيما وأن هنالك ألفاظا تحمل دلالات متنوعة، وتشترك في معان متعددة، ومن هنا كان لابد من بيان الأطر والحدود اللفظية والدلالية للفظة الواحدة، وبدون هذا سيكون ثمة اضطراب دلالي تميع معه الحركة البنيوية للفظ المراد، ومن ثم تختلط المفاهيم ولا يستطيع القارئ الوصول إلى المطلوب أو القطع به.

وقد اشتمل عنوان هذا البحث على عدة ألفاظ كان لابد من بيانها وتحديد المراد منها، ومن ثَمَّ الانطلاق منها إلى المراد، في أقل جهد وأكثر دقة.

وتلك الألفاظ الماثلة في العنوان هي:

لفظة (منهجية):

تأتي لفظة (منهجية) من الفعل (نَهَجَ)، والذي يُشتق من المصدر (منهج).

وبالرجوع إلى مادة تلك اللفظة في المعاجم اللغوية يتضح أنها تدور حول عدة معان، وتعطي عدة دلالات، ومنها: الطريق، والخطة، والوضوح.

ففي معجم مقاييس اللغة ((نَهَجَ): النون والهاء والجيم أصلان متباينان:

فالأول: النَّهْج: الطريق. ونهج لي الأمر: أوضحه، وهو مستقيم المنهاج. والمنهج: الطريق أيضا، والجمع المناهج.

والثاني: الانقطاع. يُقال: أتانا فلانٌ ينهج، إذا أتي منقطع النفس)[1].

وفي المعجم الوسيط ((نَهَجَ) الطريق – نَهْجا ونُهُوجا: وضح واستبان، ويقال: نهج أمره. و– الدابة أو الإنسان نَهْجا ونَهِيجا: تتابع نفسه من الإعياء. .

المنهاج: الطريق الواضح، وفي التنزيل العزيز ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨]. و– الخطة المرسومة، ومنه: منهاج الدراسة، ومنهاج التعليم ونحوهما (ج) مناهج)[2].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس . ج٥، ص٣٦١. دار الفكر، القاهرة، بدون تاريخ باختصار يسير.

(٢) يُنظر: المعجم الوسيط، ص٩٥٧. مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م. الطبعة الرابعة.

ومن هذا يتبين أن مادة (نَهَجَ) تدور حول عدة معان، وأن منها: الوضوح، والخطة، والاستبانة، وتأتي أيضا بمعنى مضاد لهذا، وهو: الانقطاع وعدم التتابع.

وفوق هذا فإن الملاحَظ أيضا أن تلك المادة تأتي مع الأمور الحسية (كالطريق)، وكذا الأمور المعنوية، وهو واضح بفضل الله تعالى.

تعريف المنهج في الاصطلاح:

يُعرف المنهج في اصطلاح الباحثين والمهتمين بالبحث العلمي بتعريفات متعددة، وكلها في النهاية تؤدي إلى مضمون واحد متقارب، ومن هذه التعريفات:

أ- يُعرف المنهج بأنه (الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم النظرية)[١].

ب- المنهج (الطريقة أو الأسلوب الذي ينتهجه العالم في بحثه أو دراسة مشكلته، والوصول إلى حلول لها، أو إلى بعض النتائج)[٢].

ويلاحظ أن تعريف المنهج بالأسلوب – كما في التعريف الثاني – فيه خلط بين المنهج والأسلوب، ولا شك أن ثمة فرقا بين المنهج والأسلوب، إذ يقال: المناهج الدعوية، وكذا الأساليب الدعوية، وبينهما فرق واضح.

ويمكن تعريف المنهج بأنه (مجموعة المبادئ والأصول والنظم والقوانين التي يسير عليها البحث في دراسته للأشياء، بحيث يلتزمها في تلك الدراسة ولا يحيد عنها).

لفظة (الحوار):

بالرجوع إلى المعاجم اللغوية يتبين أن مادة (حَوَرَ)، تلك التي يُشتق منها مصطلح (الحوار)، أنها تدور حول الرجوع، وتردد الشيء بين أمرين.

ففي معجم الصحاح: ([حور] حارَ يَحورُ حَوْراً، وحُؤُوراً: رجع. يقال: حار بعد ما كار. و " نعوذ بالله من الحَوْرِ بعد الكَوْرِ "[٣]، أي: من النقصان بعد الزيادة. وكذلك الحور بالضم. وفي المثل: " حورٌ في مَحارةٍ "، أي

---

(١) مناهج البحث العلمي، د/ عبد الرحمن بدوي، ص٦.

(٢) مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث، عبد الفتاح محمد العيسوي، د/ عبد الرحمن محمد العيسوي، ص١٣، دار الراتب الجامعية، القاهرة، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

(٣) جزء من حديث رواه مسلم بسنده عن عبد الله بن سرجس، كتاب الحج، باب: ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره، رقم (١٣٤٣)، ج٢، ص٩٧٩. ورواه الترمذي، كتاب الدعوات، باب: ما يقول إذا خرج مسافرا، رقم

نُقْصانٌ في نقصانٍ. يُضربُ مثَلاً للرجل إذا كان أمره يدبر)[1].

وفي معجم مقاييس اللغة (حَوِرَ) الْحَاءُ وَالْوَاوُ وَالرَّاءُ ثَلَاثَةُ أُصُولٍ: أَحَدُهَا لَوْنٌ، وَالْآخَرُ الرُّجُوعُ، وَالثَّالِثُ أَنْ يَدُورَ الشَّيْءُ دَوْرًا.

وَالْحَوْرُ: مَصْدَرُ حَارَ حَوْرًا رَجَعَ. وَيُقَالُ: " [نَعُوذُ بِاللَّهِ] مِنَ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ". وَهُوَ النُّقْصَانُ بَعْدَ الزِّيَادَةِ. وَيُقَالُ: " حَارَ بَعْدَ مَا كَارَ ". وَتَقُولُ: كَلَّمْتُهُ فَمَا رَجَعَ إِلَيَّ حَوَارًا وَحِوَارًا وَمَحُورَةً وَحَوِيرًا)[2].

ومن هذا يتضح أن مادة (حَوَرَ) تعطي عدة معان، وأن منها: الرجوع، والنقصان، والتردد، وتعطي وصفا للون ما، ولا ريب أن السياق هو الذي يحدد المعنى المراد، ويميز كل دلالة عن الأخرى.

تعريف (الحوار) في الاصطلاح:

نظرا لأهمية الحوار، وكونه وسيلة التفاهم ولغة التواصل وأسلوب الوصول إلى المراد من خلال اللغة والخطاب، فقد تعددت التعريفات لتلك اللفظة، وإن كانت جميعا تدور حول مقصود واحد، وإن اختلفت العبارات.

ومن تلك التعريفات ما يلي:

أ- الحوار هو (مناقشة بين طرفين يُقصد بها تصحيح كلام، وإظهار حجة، وإثبات حق، ودفع شبهة، ورد الفاسد من القول والرأى)[3].

ب- أو هو: (مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة)[4].

ج – أو: (محادثة بين شخصين أو فريقين، حول موضوع محدد، لكل منهما وجهة نظر خاصة به،

(٣٤٣٩)، ص٧٨٢. و النسائي في سننه، كتاب: الاستعاذة، باب: الاستعاذة من الحور بعد الكور، رقم (٥٤٩٨)، ص٨٢٨، ورواه ابن ماجه في سننه، كتاب: الدعاء، باب: ما يدعو به الرجل إذا سافر، رقم (٣٨٨٨)، ص٦٤١. وكلهم رووه بلفظ (الكور) بالراء، إلا مسلما فقد رواه بلفظ (الكون) بالنون بدل الراء.

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أ/ أحمد عبد الغفور عطار، ج ٢، ص٦٣٨. دار العلم للملايين، بيروت ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م. الطبعة الرابعة.

(٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج٢، ص١١٥، ١١٧. باختصار.

(٣) أصول الحوار وآدابه في الإسلام، صالح بن عبد الله بن حميد، ص٦. دار المنارة للنشر والتوزيع، السعودية، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

(٤) الحوار: أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، أحمد بن عبد الرحمن الصويان، ص١٧. دار الوطن، الرياض ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م. الطبعة الأولى.

هدفها الوصول إلى الحقيقة، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر، بعيدا عن الخصومة أو التعصب، بطريقة تعتمد على العلم والعقل، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة، ولو ظهرت على يد الطرف الآخر)[1].

تلك هي بعض التعريفات الواردة في تحديد المقصود من الحوار اصطلاحا، ويُلاحظ على تلك التعريفات ما يلي:

– يلاحَظ في التعريف الأول أنه أقرب إلى معنى المجادلة؛ إذ إنه قد غلَّب جانب الحجة وإثبات الحق ورد الشُبَه، مع أن هناك حوارات مجردة من ذلك، فهل لا تدخل من باب الحوار؟ وفي أي قسم تكون؟.

– وفي التعريف الثاني يلاحَظ كذلك إظهار المغايرة بين المنطق والكلام في الخطاب، وهذا لو قُصِد بالمنطق النطق، إذ المعروف أن الكلام منطوق، فهل التعريف يقصد النطق؟ أم يقصد علم المنطق؟.

– أما التعريف الثالث فمن وجهة نظر الباحث المتواضعة أنه أقرب إلى القبول، وذلك لعدة أسباب، وهي:

١– كون التعريف جامعا؛ فوصْفُ الحوار بالمحادثة يدخل فيها أي محادثة، سواء أكانت محادثة عامة، أم كانت للجدال، أم كانت للمناظرة، وهو ما يلاحظ الباحث اختفائه في التعريف الأول.

٢– جِماعُه مقاصد الحوار، وهو المقصود من قوله: (هدفها الوصول إلى الحقيقة، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر).

٣– احترازه عن عوائق الحوار الصحيح، وهو الواضح من قوله: (بعيدا عن الخصومة أو التعصب)؛ إذ المعروف أن تلك آفات تعترض طريق الحوار الصحيح.

٤– إشارته إلى بعض المنهج، وذلك في قوله: (بطريقة تعتمد على العلم والعقل).

٥– تضمنه بعض آداب الحوار، وهو المشار إليه بقوله: (مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة، ولو ظهرت على يد الطرف الآخر).

لكن مع هذا، يُؤخذ على هذا التعريف إطنابه بعض الشيء، وكونه مقيدا بـ (العلم والعقل)، إذ الحوارات العامة بين الأشخاص الأميين – الذين لا يعرفون علما ولا منهجا عقليا – تُسمى أيضا حوارا، وإلا أفرغنا المصطلح من بعض مضامينه بلا شك.

---

(١) الحوار الإسلامي المسيحي: المبادئ – التاريخ – الموضوعات – الأهداف، بسام داوود عجك، ص٢٠، دار قتيبة، بدون ذكر اسم البلد ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م. الطبعة الأولى.

ويمكن تعريف الحوار بأنه (تردد الكلام بين طرفين، بهدف الوصول إلى مقصد معين، مع التزام بضوابط معينة).

وفي ظني– والله أعلم – أن هذا يشمل جميع الحوارات، مع الالتزام بضوابط نجاحها، فضلا عن التحرز مما يفسدها، مع قلة ألفاظه، وتعدد معانيه.

مصطلح (الديني):

لفظة (الديني) تأتي نسبة إلى (الدين)، والتي تعطي معنى الانقياد والمحاسبة والجزاء.

ففي معجم مقاييس اللغة (دَيَنَ) الدَّالُ وَالْيَاءُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ إِلَيْهِ يَرْجِعُ فُرُوعُهُ كُلُّهَا. وَهُوَ جِنْسٌ مِنَ الِانْقِيَادِ، وَالذُّلِّ. فَالدِّينُ: الطَّاعَةُ، يُقَالُ دَانَ لَهُ يَدِينُ دِينًا، إِذَا أَصْحَبَ وَانْقَادَ وَطَاعَ. وَقَوْمٌ دِينٌ، أَيْ مُطِيعُونَ مُنْقَادُونَ)[1].

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة (دانَ بـ/ دانَ لـ يَدِين، دِنْ، دِينًا ودِيانةً، فهو دائن، والمفعول مَدينٌ به. دان بالفضلِ وغيرِه: اعترف. دان لفلان: خضع وذلّ وانقاد له "إِنَّمَا أُرِيدُهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ[2] [حديث] ".

– أطاعه. دانَ بـ يَدِين، دِنْ، دِينًا ودِيانةً، فهو دَيِّن، والمفعول مَدين به. دان بالإسلام: اتَّخذه دينًا، وتعبَّد به، اعتنقه)[3].

وعلى هذا تعطي مادة (دان) والتي منها لفظة أديان والتي هي جمع (دين)، معنى: أ– الانقياد. ب– الطاعة. ج– الجزاء. د– التعبد بالشيء. هـ–الاعتراف.

ولا ريب أنها كلها معان متقاربة، ويتقبلها الدين إذا جاء مضافا.

ولا ريب كذلك أن تحديد المعنى والدلالة المستخلصة، تتوقف على مقصود المتكلم وفهم السامع والسياق

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد ابن فارس، ج٢، ص٣١٩.

(٢) رواه أحمد في المسند، رقم (٣٤١٩)، ج٣، ص٤٣٨. وصححه الشيخ أحمد شاكر في شرحه للمسند. ورواه الترمذي في سننه، رقم (٣٢٣٢)، كتاب: تفسير القرآن، باب: (ومن سورة ص)، ص٣٧٠. ورواه الحاكم في مستدركه، رقم (٣٦١٧)، كتاب التفسير، تفسير سورة ص، ج٢، ص٤٦٩. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، أ. د/ أحمد مختار عمر وآخرون، ص٧٩٥. مطبوعات عالم الكتب، مصر ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م. الطبعة الأولى. باختصار.

الذي جاءت في إطاره.

تعريف الدين في الاصطلاح:

نظرا لأهمية (الدين) في نفوس البشر، وتعدُد الآراء في نشأته ومصدره، تعددت الآراء حول تعريف تلك اللفظة (الدين)، ومن تلك التعريفات ما يلي:

أ- الدين هو (وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول ﷺ)[١].

ب- أو هو (الاعتقاد بوجود ذات غيبية علوية، لها شعور واختيار، ولها تصرف وتدبير للشؤون التي تعني الإنسان؛ اعتقادا من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة ورهبة، وخضوع وتمجيد)[٢].

ج- أو هو (جملة النواميس النظرية التي تحدد صفات تلك القوة الإلهية، وجملة القواعد العملية التي ترسم طريق عبادتها)[٣].

تلك هي بعض التعريفات الواردة في مصطلح (الدين)، وهي إن كانت متعددة إلا أن ثمة اتفاقا بينها من جانب وفوارق لفظية تحمل دلالات معنوية من جانب آخر، ليس هذا موضع شرحها وبيانها الآن.

مصطلح (آيات):

تأتي كلمة (آيات) الماثلة في عنوان هذا البحث، جمعا للفظة (آية)، والتي لها عدة معان في معاجم العربية، ومنها: العلامة والدليل والأثر.

ففي معجم مقاييس اللغة (الآية: العلامة ...)[٤].

وفي المعجم الوسيط (الآية: العلامة والأمارة. و – العبرة. قال تعالى: ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ ﴾ [يونس: ٩٢] و- المعجزة، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ ﴾ [المؤمنون: ٥٠]. و –

---

(١) معجم التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، ص٩٢. دار الفضيلة للنشر والتوزيع، مصر، بدون تاريخ ولا رقم طبع.

(٢) الدين – بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، د/ محمد عبد الله دراز، ص٥٢، دار القلم، الكويت، بدون تاريخ ولا رقم طبع.

(٣) الإنسان والأديان – دراسة مقارنة، أ. د/ محمد كمال جعفر، ص٢٢، دار الثقافة، الدوحة – قطر ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م. الطبعة الأولى.

(٤) معجم مقاييس اللغة، أحمد ابن فارس، ج١، ص١٦٨.

الشخص . و – الجماعة. و –من القرآن: جُملة أو جُمل أُثِرَ الوقف في نهايتها غالبا)[١].

ومن خلال هذا يتبيَّن أن لفظة (آية) تدل على: العلامة، والأمارة، والدليل، والعبرة، والمعجزة، والجماعة، والجملة من القرآن.

ولا نزاع في أن السياق هو الذي يحدد المعنى المقصود ويقطع به.

وبناءً على هذا، فإن المقصود من لفظة (آيات) الماثلة في عنوان هذا البحث هو: الجملة أو الجمل من القرآن الكريم، يحسن الوقوف عليها، وقد أثر هذا الوقوف عليها غالبا، وتحمل في نفس الوقت معنى: المعجزة؛ إذ إن آيات القرآن الكريم معجزة لا محالة.

تعريف (الآية) في الاصطلاح:

تُعَرَف الآية – المتعلقة بالقرآن الكريم – بأنها (طائفة من القرآن يتصل بعضها ببعض إلى انقطاعها، طويلة كانت أو قصيرة)[٢].

أو هي (طائفة من القرآن متميزة بفصل، والفصل هو آخر الآية)[٣].

وهنا يتحد المعنى اللغوي مع المعنى الاصطلاحي للفظة (الآية)؛ خاصة إذا كان من معانيها اللغوية كما مر (الجماعة)، والآية من القرآن جماعة الآيات، أو جماعة الألفاظ تتكون منها الآيات، ولفظة (طائفة) الكائنة في تعريف الآية (اصطلاحا) تدل على معنى الجماعة ويؤدي إليه.

القرآن الكريم:

يأتي مصطلح (القرآن) من الفعل (قَرَى) والذي يفيد معنى الجمع، ومنه جاء الفعل (قرأ) والذي يعطي معنى التتبع.

ففي معجم مقاييس اللغة (قرى): (القاف والراء والحرف المعتل: أصل صحيح يدل على جمع واجتماع. من ذلك: القرية، سميت قرية لاجتماع الناس فيها. ويقولون: قَرَيتُ الماء في المقراة: جمعته)[٤].

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ص٣٥.

(٢) معجم التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، ص٣٨. رقم التعريف (١٢٣١).

(٣) التحبير في علم التفسير، الإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق: أ. د/ فتحي عبد القادر فريد، ص٤١، دار العلوم، الرياض ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م. الطبعة الأولى.

(٤) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج٥، ص٧٨.

إلى أن قال: (قالوا: ومنه القرآن: كأنه سُمِّي بذلك لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص وغير ذلك)[١].

وجاء في البرهان (القرآن: فقد اختلفوا فيه، فقيل: هو اسم غير مشتق من شيء، بل هو اسم خاص بكلام الله تعالى. وقيل: مشتق من القِرى، وهو الجمع. ومنه: قرريت الماء في الحوض، أي جمعته)[٢].

وفي المعجم الوسيط (قرأ: الكتاب – قراءةً، وقرآناً : تتبع كلماته نظرا ونطق بها. و – تتبع كلماته ولم ينطق بها)[٣].

وليس كونه جامعا أنه جامع للقصص فقط، بل إنه (سُمِّي قرآنا لأنه يجمع السور فيضمها، وتفسير ذلك في آية من القرآن، قال جلَّ ثناه: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ [القيامة: ١٨][٤].

ومن خلال تلك النصوص اللغوية يتضح ما يلي:

أ- مادة (قَرى) – والذي جاء منها مصطلح (القرآن) تعطي معنى الجمع، ومنه الفعل (قرأ) والذي يفيد معنى التتبع.

ب- كلا المعنيين (الجمع – التتبع) موجودان بقوة في مصطلح (القرآن)؛ إذ إنه لما تم جمعه، سواء بعضه إلى بعض، أم كونه جامعا لسوره وآياته وقصصه وأحكامه... الخ، أخذ تاليه (قارئه) يتتبع ذلك كله، فكلا المعنيين بينهما علاقة وطيدة.

ج- الآية المذكورة من سورة (القيامة) تفيد تلك العلاقة بين الجمع والتتبع؛ حيث إنه أمر رسوله ﷺ بعد جمع القرآن أن يتبع ما جاء فيه، والاتباع لن يأتي إلا بعد التتبع.

تعريف مصطلح (القرآن) في الاصطلاح:

نظرا لمكانة القرآن الكريم، وعظيم فضله، وبالغ أهميته، وكامل إعجازه...الخ، فقد تعددت التعريفات لهذا الكتاب العزيز؛ ومنها أنه (الكلام المنزل على محمد ﷺ للإعجاز بسورة منه)[٥].

---

(١) نفس المرجع، ص٧٩.

(٢) البرهان في علوم القرآن، الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: أ/ أبو الفضل الدمياطي، ص١٩٤، دار الحديث، القاهرة ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

(٣) المعجم الوسيط، ص٧٢٢.

(٤) مجاز القرآن، أبو عبيدة بن المثنى، تعليق: د/ محمد فؤاد سزكين، ج١، ص ١، ٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون تاريخ طبع.

(٥) التحبير في علم التفسير، الإمام جلال الدين السيوطي، ص٣٩.

أو هو: (اللفظ العربي المعجِز، الموحَى به إلى محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام، وهو المنقول بالتواتر، المكتوب في المصحف، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس[١].

هذا، وشرح تلك التعريفات، وبيان المحترزات....الخ كل ذلك نطقت به كثيرٌ من كتب التفسير وعلوم القرآن، فقد تناولت ذلك كله بالتفصيل والشرح والبيان، فليُطلب من مظانه، ففيه الغُنية والإفادة، بفضل الله تعالى وحده.

لفظة (القواعد)

تأتي لفظة (القواعد) جمعا للفظة (قاعدة)، والتي تدور في معاجم العربية حول الأصل والأساس.

ففي تهذيب اللغة (الْقَوَاعِد: الأساس، واحدتها قَاعِدَة..... قَوَاعِد السَّحاب: أصولُها المعترِضة فِي آفَاق السَّماء، شبِّهت بقواعد البِناء)[٢].

ومنها يتضح أن القاعدة ما تدل على أصول وأسس لشيء ما، فهي أصل له وهو قائم عليها.

وهذا يدل على مدى أهميتها وأنه لا يمكن الاستغناء عنها.

أما في الاصطلاح فتعرف القاعدة بأنها (قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها)(٣).

وهذا يعني إحكام القاعدة لما تحتويه أو ما يندرج تحتها، وبدون تلك القاعدة تصبح الجزئيات منتفية عن هذا الإحكام، وربما تداخلت في بعضها، فتاهت شاراتها، وانعدمت عناصر ضبطها.

لفظة (البناء)

تدور مادة البناء في اللغة العربية حول ضم الشيء إلى الشيء.

ففي معجم مقاييس اللغة (بَنَى) الباء والنون أصل واحد، وهو بناء الشيء بضم بعضه إلى بعض. تقول: بنيت البناء أبنيه)[٤].

وفي المعجم الوسيط (بَنَى) الشَّيْء بَنْيًا وَبِنَاء وبنيانا: أَقَامَ جِدَاره وَنَحْوه يُقَال: بنى السَّفِينَة وَبنى الخباء،

---

(١) الواضح في علوم القرآن، د/ مصطفى ديب البغا – د/ محيي الدين ديب مستو، ص ١٥، دار الكلم الطيب، دمشق ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م. الطبعة الثانية.

(٢) تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي، تحقيق: أ/ عبد السلام محمد هارون، ج ١، ص ٢٠٢، مطبوعات الدار المصرية للتأليف والنشر، مصر.

(٣) معجم التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، ص١٤٣.

(٤) معجم مقاييس اللغة، أحمد ابن فارس، ج١، ص٣٠٢.

وَاسْتعْمل مجَازًا فِي معَان كَثِيرَة تَدور حول التأسيس والتنمية، يُقَال: بنى مجده....)[1].

ومن هذا يتضح أن مادة (بَنَى) تدور حول تأسيس الشيء وإنشائه وضم بعضه إلى بعض، وكذا تُستخدم تلك المادة في الأمور الحسية – وهو الأكثر –، فضلا عن الأمور المعنوية.

لفظة (سلامة)

تأتي لفظة (سلامة) الماثلة في عنوان هذا البحث من الفعل الثلاثي (سَلِمَ)، والتي تدور حول الصحة والبراءة والتعري من العيوب.

ففي معجم مقاييس اللغة (سَلِمَ) السِّينُ وَاللَّامُ وَالْمِيمُ مُعْظَمُ بَابِهِ مِنَ الصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ، وَيَكُونُ فِيهِ مَا يَشِذُّ، وَالشَّاذُّ عَنْهُ قَلِيلٌ، فَالسَّلَامَةُ: أَنْ يَسْلَمَ الإِنْسَانُ مِنَ الْعَاهَةِ وَالْأَذَى. قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ هُوَ السَّلَامُ ؛ لِسَلَامَتِهِ مِمَّا يَلْحَقُ الْمَخْلُوقِينَ مِنَ الْعَيْبِ وَالنَّقْصِ وَالْفَنَاءِ. قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾ ﴾ [يونس: ٢٥]، فَالسَّلامُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَدَارُهُ الْجَنَّةُ. وَمِنَ الْبَابِ أَيْضًا الْإِسْلَامُ، وَهُوَ الِانْقِيَادُ؛ لأَنَّهُ يَسْلَمُ مِنَ الْإِبَاءِ وَالِامْتِنَاعِ. وَالسِّلَامُ: الْمُسَالَمَةُ[2].

وفي معجم غريب القرآن (السَّلْمُ والسلامة: التعري من الآفات الظاهرة والباطنة)[3].

ومن هذا يتضح أن مادة (سَلِمَ) تعطي عدة معان، وأن منها:

– الصحة. – التعري من الآفات. – العافية. – الحفظ.

ولا نزاع في أن السياق هو الذي يحدد المعنى المراد ويقطع به، والمقصود في هذا البحث هو المعنى الأول قطعا (الصحة): أي صحة النتائج (المخرجات) التي تنتج عن قواعد الحوار المستنبطة من القرآن الكريم.

لفظة (المخرجات)

لفظة (المخرجات) تأتي من الفعل الماضي الثلاثي (خَرَجَ)، والتي تدور حول بروز الشيء وظهوره.

ففي معجم اللغة العربية المعاصرة (أخرجَ يُخرج، إخراجًا، فهو مخرِج، والمفعول مخرَج.

• أخرجَ الشَّيءَ: أبرزه وأظهره، جعله يخرج، "أخرج بطاقتَه من جيبه– أخرج النباتُ براعمَه: طرحها في

(١) يراجع المعجم الوسيط، مجموعة مؤلفين، ص ٧٢.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج٣، ص ٩٠.

(٣) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، ج١، ص٣١٥. مكتبة نزار مصطفى الباز، بدون ذكر اسم البلد ولا رقم الطبع والتاريخ.

السّوق، قال الله تعالى: ﴿ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ۝٢ ﴾ [الزلزلة: ٢]. أخرج له لسانَه: سخر منه، تهكّم عليه- أخرج ما في جعبته: أبدى ما كان يُخفيه – أخرجه إلى حيّز الوجود: أظهره.

• أخرجَ الكتابَ: أصدره، طبعه ونشره)[1].

ومن هنا يتضح أن مادة (خرج) تعطي عدة دلالات متعددة، وأن منها ظهور الشيء وبروزه وتبيانه بعد خفائه، وكذا تعطي عدة دلالات معينة يحددها السياق.

الانتخاب الدلالي:

إذا كانت تلك المادة (خرج) والتي منها المفعول (مخرجات) تعطي عدة دلالات معينة، فإن دقة البحث وأصالة المنهج العلمي تقتضي انتخاب دلالي لتلك الدلالات المستوحاة من تلك اللفظة فيما يتعلق بالبحث، وتلك الدلالة هي الظهور، والتي تفضي إلى القول بظهور النتائج المترتبة على قواعد البناء المشار إليها آنفا.

(١) يُراجع معجم اللغة العربية المعاصرة، أ. د/ أحمد مختار وآخرون، ج١، ص٦٢٥، ٦٢٦. باختصار.

ثانياً: بيان العلاقة بين الحوار الديني وضرورة المنهجية فيه

لا مرية في أن الحوار في كل ما يتعلق به: من أسس وأصول وقواعد وآداب ومنهجية... الخ كل هذا له علاقة واضحة بالمنهجية التي ينبغي أن يكون هذا الحوار سائرا عليها، متقيدا بها، تلك العلاقة التي دلت عليها كثير من نصوص القرآن الكريم وكذا سنة النبي الكريم ﷺ.

لقد دلت تلك النصوص في دلالات قاطعة جازمة لا تقبل الشك أو المواربة، أن ثمة علاقة واضحة بين الحوار و تلك المنهجية، وأن القرآن الكريم قد استخدم الحوار كأسلوب دعوي في محاورة أهل الكتاب من جانب، وبقية أصناف المدعوين من جانب آخر.

وفضلا عن هذا فإن القرآن الكريم قد أقام الحجة على المخالف (أيّاً كان صنفه) من خلال الحوار، وبيَّن تهافت دعواهم من خلاله أيضا، ودعاهم إلى الدين الحق وقواعده وأصوله من خلاله (أي الحوار كذلك)، وما يقال عن القرآن الكريم يقال عن سنة النبي الكريم ﷺ.

وبمشيئة الله تعالى سأتناول بعض آيات من سورة آل عمران كدليل تطبيقي على بيان تلك العلاقة بين الحوار وتلك المنهجية، وكيف أن تناول القرآن للأديان المغايرة عن طريق الحوار أحدث ثورة حوارية عقدية – إن صح التعبير – في علم مقارنة الأديان، وكذا الحوار الديني ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٤ – ٧١].

دلالات التقرير ومنهجية التقعيد

تأتي تلك الآيات الكريمة في سياق محاورات أهل الكتاب، وتأتي آخذةً بالعقول، تأسر القلوب نحو منهجها الفريد؛ لتحاور العقل، وتقنع الفكر، وتقرر في دلالات قاطعة كيف أن ثمة علاقة واضحة بين الحوار

الديني، وتلك المنهجية التي ينبغي التقيد بها، ومن تلك الدلالات ما يلي:

أولاً: وجَّهت الآيات النداء إلى أهل الكتاب في أكثر من آية، إذ مجموع ما تم توجيهه لأهل الكتاب في تلك الآيات أربعة نداءات، ولا ريب في أن النداء دعوة إلى شيء، والتنبيه عليه، ودعوة إلى الاهتمام به، وهو أول درجة من درجات سُلم الحوار، إذ كيف يتم حوار بين طرفين وأحدهما بعيد عن الآخر، فكان لابد من توجيه النداء له أولا، ليكون ثمة حوار بينهما ثانيا.

ثانيا: لا ريب في أن تلك النداءات والمحاورات موجَّهة في تلك الآيات إلى أهل الكتاب، وهم قوم مغايرون لأهل الإسلام، ومن ثَمَّ يمثلون أديانا أخرى غير الإسلام، ولم يوجه لهم القرآن – في هذه الآيات – إلا أسلوب الحوار، مما يدل على تلك العلاقة الماثلة بين الحوار من جانب، وكونه حوارا دينيا من جانب آخر.

ثالثا: والملاحظ في تلك الآيات أيضا أن الحوار فيها قد أخذ جانب المناقشة الهادئة، مشتملا في الوقت نفسه على توبيخات بسيطة، مثل قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ مما يدل على أن الحوار حينما يأخذ جانب المناقشة الهادئة فإن نجاحه أكثر، وصحة النتائج لديه أوضح، ودلالة التوافق بين الطرفين هنا واضحة (الحوار والمنهجية)، إذ إن سلوك القرآن الكريم هذا المسلك (الحوار الهادئ) في هذا السياق يدل على مدى تأثيره في نفوس المغايرين، مما يدل على قوة تأثيره من جانب، ومدى العلاقة ورسوخها بين الأمرين من جانب آخر ، وتلك المناقشة الهادئة تمثل عدم التجريح، وجمع الكلمة، وهو ما يشكل قاعدة منهجية بلا شك.

رابعا: ويلاحظ في تلك الآيات أيضا أنها اتخذت من (الحوار) سبيلا إلى تقرير الحقائق التي يُراد تقريرها وإظهارها، وذلك مثل (توحيد الله تعالى – عدم اتخاذ البعض أربابا من دون الله تعالى – الإنكار عليهم في المحاجة في نبي الله إبراهيم ﷺ تقرير حنيفية الخليل ﷺ أولوية النبي ﷺ بالخليل ﷺ) وتلك أمور عقائدية يخالف أهلُ الكتاب فيها القرآنَ الكريم، والقرآن قد اتخذ من الحوار طريقا لتقريرها، ولا ريب في أن القرآن لا يتخذ في سبيل تقرير قضاياه إلا الأساليب القوية، ذات المنهجية الواضحة. وهو واضح بفضل الله تعالى وحده، فله الحمد والمنَّة الكاملة.

ومن هنا فإن (المنهج الثالث تراه منصوصا في القرآن الكريم في التعامل مع الأديان الأخرى، وبخاصة اليهود والنصارى، هو (الحوار)، والحوار هنا ليس بالمعنى اللغوي الأصيل الذي يعني التردد في الكلام، إنما بمفهومه الحديث الذي يعني مناقشة علمية هادئة.

والحوار كمنهج علمي لم يعرفه العالم في مجال الأديان – لأول مرة – إلا من خلال القرآن الكريم)[١].

إن القرآن الكريم حينما ينص على الحوار كأسلوب في معالجة القضايا العقدية الشائكة، تلك التي تمسك بها المغايرون والمخالفون للإسلام، فإن هذا يعني مدى قوة هذا الأسلوب في تأثيره، وكذا مدى رسوخ العلاقة ومتانتها بين الحوار ومنهجيته، هذا العلم الذي أبانه القرآن وقعَّد له قواعده ووضع له أصوله الماتعة.

وثمة أمور أخرى تفصح عن تلك العلاقة بين الأمرين، وهو أن الحوار (من وسائل تبليغ الحق ونصرته وزهْقِ الباطل وهزيمته، فإنّ المخالف قد يكون مخطئًا في الفهم، وإنّ العاصي قد يكون متأولا في معصيته. فإذا لم يكن بينهم حوار، فلا تتحقق الثمرة المرجوة، ولاسيما أن المسلم يرجو للكافر الهداية والدخول في الإسلام، كما يرجو للعاصي التوبة والاستغفار)[٢].

وهذا يعني أن مقصد إحقاق الحق....الخ يؤدي الحوار إلى تحقيقه، وهذا يؤكد مدى اعتبار الوسيلة باعتبار مقصدها كما هو معلوم، وهما معا (الوسيلة والمقصد) معتبران معا، ومُهمَان معا أيضا.

ويؤكد في الوقت ذاته أن هذا الحوار إذا كان مع المخالف، فإنه لن يلتزم بمقرراته إلا إذا كان منضبطا بمنهجية تُلزم هذا الخصم، وتعمل على عدم التملص منه.

ومن هنا كان لابد من (التركيز في مجادلة أهل الكتاب على القضايا العقدية الفاصلة، ومحاجتهم، ومناظرتهم؛ لدحض شبهاتهم، ونقض حججهم بأسلوب علمي رفيق، ثم مباهلتهم إن لزم الأمر)[٣].

وفي ظني أن هذا الأسلوب العلمي المشار إليه في النص لا يتحقق إلا من خلال عدة وسائل وأساليب، وأن منها الحوار بلا شك، بل هو أول لبنة من لَبِنات هذا الأسلوب العلمي المنشود.

هذا، وحينما تكون ثمة علاقة بين الحوار وضرورة تقيده بالمنهجية، وأن كلا منهما يتعلق بالآخر في مجال المقارنات الدينية، فهذا يعني من وجهة نظر الباحث:

---

(١) في علم الدين المقارن – مقالات في المنهج، د/ دين محمد محمد ميرا، ٤٨. دار البصائر، القاهرة ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م. الطبعة الأولى.

(٢) الحوار: أصوله وضوابطه وأثره في الدعوة الإسلامية أ/ يوسف فرحات، ص١٦٠. بحث مقدم لمؤتمر (الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر)، والمنعقد في كلية أصول الدين – الجامعة الإسلامية بغزة في الفترة (٧ – ٨ ربيع الأول ١٤٢٦هـ – ١٦ – ١٧ إبريل ٢٠٠٥).

(٣) الحوار مع أتباع الأديان – مشروعيته وآدابه، د/ منقذ بن محمود السقار، ص٢٥. مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، السعودية، بدون تاريخ ولا رقم طبع.

أ – ضمان الوصول إلى نتائج أكثر جودة وحسناً، وأقل تعنتاً من الخصم، إذ الحوار وحده هو الوسيلة إلى الإقناع والتفاهم، دون غيره من أساليب الإكراه والعنف.

ب– وقوع المناقشات الدينية والمقارنات من نفس النوع على طريقة النقاش العلمي الهادئ، دونما أي صخب أو لجاجة أو تشويش من أحد الطرفين.

ج– فتح المجال أمام الطرف المحاوَر (الخصم) إلى التفكر والتعقل والتدبر، والروية في إصدار الأحكام والتريث فيها، ولو كان عن طريق غير الحوار لكان التعجل والتسرع في إصدار الأحكام، وهو واضح بلا شك.

إن اتّباع المنهجية أمر ضروري في كل شيء؛ حتى يكون العمل أو النشاط أو الفكر أو العلم المنشود أشد إحكاماً وأقوى وثاقةً وأوضح بياناً، ولذلك فـ(إن أهمية المنهج في أي علم وفي أي نشاط فكري ليست موضع مناقشة، ومن المستحيل تصور علم بدون أن يكون له منهج مناسب يستخدمه في تناوله لقضاياه، وفي دراساته لموضوعاته، وعلم بدون منهج يمكن أن يكون أي شيء غير العلم)[١].

وإذا كان الفارق بين العلم وغيره هو تحقيق المنهج من عدمه، فهذا يبين بجلاء كيف تكون أهمية المنهج في كل العلوم وجميع الأنشطة، تلك التي بدون المنهج تصبح هباء بلا فائدة.

وإذا كان المنهج داخلا في كل العلوم والأنشطة الفكرية وغيرها، فهو داخل بلا شك أيضا في الحوار كعلم من جانب، أو كنشاط فكري أيضا من جانب آخر؛ وذلك لأن (الالتزام بالمنهجية في العمل والموضوعية في الفكر تعصم من الانحراف، فإذا شاعت مجموعة من المبادئ المنهجية، والأعراف الصحيحة، والموازين الدقيقة أجواءَ الحوار، فإنها تساهم في كبح الفهم الخاطئ، وتمنع من تسرب التفاسير المشوشة، والتأويلات المفرطة البعيدة، خصوصًا إذا أضيف إلى ذلك إشاعة مفاهيم أدب الحوار وأخلاق المناظرة، مما يجعل الشطط دائمًا ينحصر في أضيق الدوائر)[٢].

وهذا يعني أن المنهجية في الحوار تؤدي إلى بناء قواعد صحيحة تابعة له من جانب، وتضبط العملية الحوارية أثناء وقوعها من جانب آخر، فضلا عن تلاشي عوائق نجاح هذا الحوار من جانب ثالث، وأيضا تقرير صحة الحوار وما يترتب عليه من جانب رابع، وهذا يحتم القول بضرورة التزام المنهج في إيقاع الحوار.

وبسبب هذا وانطلاقا منه ورجوعا إليه، كان من المقرر في تلك المؤلفات التي تنتظم قواعد الحوار أن يكون ثمة منهجا مضبوطا ببضعة ضوابط، تلك (الضوابط التي تضبط به الحوار، وتوجهه نحو المنهج السليم

(١) في علم الدين المقارن – مقالات في المنهج، د/ دين محمد محمد ميرا، ص١٣.

(٢) الحوار: أصوله وضوابطه وأثره في الدعوة الإسلامية، أ/ يرسف فرحات، ص ١٠٨، ١٠٩.

فلا ينحرف يمنة أو يسرة، فتضل به الآراء والأحكام)[1].

هذا، وفي نظر الباحث فإن ضرورة التزام الحوار بالمنهجية، يرجع إلى عدة دوافع، وهي:

أولا: إن الحوار يعني المناقشة وتردد الكلام بين طرفين أو أكثر، وقد يجر هذا إلى اللغط وكثرة اللجاج ووقوع الخصومة، فتحتم القول إلى ضرورة الالتزام بمنهج يعصم الحوار من قواصم كثيرة قد تعصف به.

ثانيا: إن الحوار الديني يقوم على الاختلاف والمباينة بين أديان متعددة، وأصحاب كل دين يزعمون صحة دينهم وبطلان الأديان الأخرى، ولو تُرك البحث في الأديان – والحال هذه – لأدى إلى تمييع الحوار، وعدم قيامه على منهجية تعصمه من هذا التمييع المنبوذ.

ثالثا: إن الالتزام بالمنهجية المنشودة في الحوار الديني تعني وقوع الاستفادة منه أكثر، وعدم تفويت المصلحة القائمة على كلِ منهما، وانتفاع الأجيال اللاحقة بما تركته السابقة، ولولا المنهجية – بعد فضل الله تعالى – لجاء اللاحقون ليهدموا ما بناه السابقون فيما يخص الحوار المقارن؛ لانعدام القواعد المنهجية التي يتحاكم إليها الجميع حينئذ.

(١) فقه التعامل مع المخالف، د/ عبد الله بن إبراهيم الطريقي، ص٨٨، دار الوطن، الرياض، بدون تاريخ.

المبحث الأول

قواعد البناء المنهجية للحوار الديني من خلال آيات القرآن الكريم

مقدمة

تأتي تلك القواعد المنهجية – التي أرساها القرآن الكريم – كقاعدة بناء قوي للحوار الديني بين مختلف الديانات، لتمثل تلك القواعد خطوطا مستقيمة ومنهجا واضحا في تحديد الحوار المنهجي الهادف من غيره، ولتضع بالمتحاورين على الطريق الصحيح، متى التزموها وعملوا بمقتضاها والتزموا دلالاتها وأطرها ولم يتعدوها إلى غيرها.

إن تلك القواعد ذات أثر على الحوار الديني الهادف، وذات تحديد لمقصوده، وذات حفظ من انهياره وتخبطه، فهي تحدد معالمه، وتضبط وجهته، وتنمي تعدده، وتعطي مساحات واسعة من الرحابة الفكرية المنضبطة أمام الديانات المختلفة، وبدون تلك القواعد في الحوار الديني، وبدون مراعاتها حالة هذا الحوار، يصبح الحوار الديني ذا تخبط واضح، وعشوائية ظاهرة، وتميع معه معالم الدقة، وأمارات الإحكام، وشارات الضبط ولابد.

وسيكون بإذن الله تعالى التقيّد بتلك الضوابط والقواعد – من خلال القرآن الكريم – نصا أو استنطاقا، وذلك على النحو التالي – بإذن الله تعالى وفضله –....

المطلب الأول: الموضوعية

تعتبر الموضوعية – في ارتباطها بالحوار الديني – علامة فارقة، وشارة مهمة في هذا العلم، بحيث لو فُقدت لأدى إلى نتائج غير حقيقية ولا منصفة على الإطلاق، وبالتالي كان من القواعد المنهجية المهمة في هذا الباب: التزام المُحَاوِر – حالة قيام الحوار بين أديان مختلفة – بالموضوعية، وعدم التحيز أو الميل لأمر على حساب الآخر.

القرآن الكريم يرسي تلك القاعدة المنهجية المهمة (الموضوعية):

وقد نبَّه القرآن الكريم إلى ضرورة التزام الموضوعية في هذا الباب (الحوارالديني) إلى أكثر من آية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴾ [آل عمران: ٧٥]، وقوله سبحانه: ﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٣].

وتأتي تلك الآيتان في سياق بيان ما لأهل الكتاب من بعض جوانب إيجابية من أهل الإيمان منهم، بعد أن سبقت تلك الآيةَ أياتٌ أخرى في معرض الذم لهم وبيان فسوقهم، نصا كما جاء في القرآن الكريم.

وبينما ينطق القرآن الكريم بهاتين الآيتين، يُرسي في الوقت ذاته هذه القاعدة المنهجية (الموضوعية) من خلال ما يلي:

أ- إن القرآن الكريم لم يُطلق حكما عاما عليهم يشملهم جميعا، ومع أنهم مخالفون لمنهجه، معارضون لحكمه، محاربون لمقرراته، إلا أنه أنصفهم، وذكر مدحا لمن يستحقه منهم، وذكر ذما لمن يستحقه أيضا منهم، وذلك غاية الموضوعية؛ إذ إن الآية الأولى (قد مدحت من يستحق المدح من أهل الكتاب، وهو الحق الذي استجاب للحق وآمن بالنبي ﷺ، كعبد الله بن سلام وأمثاله من مؤمني أهل الكتاب. وذمت من يستحق الذم منهم، وهو الفريق الذي لا يؤدي الأمانة، ولم يستجب للحق، بل استمر على كفره وجحوده، وهذا القسم يمثل أكثرية أهل الكتاب)[1].

ب- وإظهار المحاسن لبعضهم، والإشادة به، والفصل بينهم وبين غيرهم ممن فسق وكفر، هو غاية تقرير تلك الموضوعية، فلم يَجُر القرآن الكريم عليهم في الحكم، ولم يبخسهم حقهم.

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، أ. د/ محمد سيد طنطاوي، ج٢، ص١٩٧. مطبعة السعادة، القاهرة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م. الطبعة الثانية.

الموضوعية والحوار الديني:

وبينما يرسي القرآن الكريم هذه القاعدة المهمة، يتضح كم التأثر بهذه الموضوعية في الحوار الديني؛ إذ إن الحوار الديني يكون بين دينين مختلفين أو أكثر، والقرآن الكريم قد سبق ذلك وعرض له وعوَّل عليه.

يأتي تعريف (الموضوعية) بأنها (مسلك الذهن الذي يرى الأشياء على ما هي عليه، فلا يشوّهها بنظرة ضيقة أو تحيز خاص)[١].

وهذا يعني إلغاء النفس تماما من حيث تأثيراتها على الحوار المتَنَاوَل، وإعطاء مجريات الحوار أن تتم وفق قواعد المنهج العلمي الرصين، لا كما يراه المُحَاوِر في قرارات نفسه.

وينتج عن تلك الموضوعية النزاهة والتجرد التام، وترك النفس تنتهج المنهجية العلمية دونما أي تدخل منها.

إن كثيرا ممن كتبوا عن الحوار طالبوا بهذا الأصل المنهجي الماتع، ألا وهي الموضوعية، فقد (آن الأوان لتقنين الحوار وإعادته على مستوى العالم، من خلال منهج علمي ودراسة موضوعية وإعادة النظر.

وتقنين الحوار واعادته من خلال منهج علمي ودراسة موضوعية، يتطلب استحضار الباحثين والدارسين والمجاورين تجارب الماضين ونتائج هذه التجارب إلى ميدان البحث والدراسات الدينية، أو الاجتماعية بوجه عام، ولا يأتي هذا على وجه صحيح إلا باعتماد القرآن دليلا لهم)[٢].

ففي هذا النص يتضح الربط الواضح بين (آيات القرآن الكريم) وتأثيره على الحوار الديني في نقطة التقاء منهجية (الموضوعية)، وهذا يتضح من خلال عدة نقاط، وهي:

أ- يظهر الربط بين اعتماد (تقنين الحوار) على الدراسة الموضوعية، وفي هذا تقرير لما رام البحث إلى إثباته، وهي أن الموضوعية أصل منهجي في الحوار الديني، لكن تأصيله وتقريره يأتي من كتاب عظيم، وهو المشار إليه في النقطة التالية:

ب – ويظهر أثر القرآن الكريم في التربية الحوارية ذات موضوعية منهجية مقننة، وهو واضح من قوله: (ولا يأتي هذا على وجه صحيح إلا باعتماد القرآن دليلا لهم)[٣].

---

(١) المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص١٩٧، المطابع العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

(٢) الإنسان في ظل الأديان، أ. د/ عمارة نجيب، ص١٩، مكتبة المعارف، الرياض، بدون تاريخ ولا رقم طبع.

(٣) نفس المرجع ونفس الصفحة.

ج- والنفي هنا في قوله في النص السابق: (ولا يأتي هذا على وجه صحيح إلا....الخ) تقرير واضح بأن تلك الموضوعية – كقاعدة بناء منهجية – لن تتأتى إطلاقا للمتحاورين إلا من خلال القرآن الكريم، وهو غاية ما يرنو الباحث إلى إثباته.

وإذا كانت الموضوعية قاعدة بناء منهجي لحوار ديني منضبط، فإن غياب تلك الموضوعية عن هذا العلم – كأصل منهجي علمي – سيؤثر سلبا – ولا بد – على الحوار الديني.

إن الموضوعية هي المعصم من أهواء النفس ومزاجها المتقلب وميولها المختلفة وتصوراتها المضطربة أحيانا، ويصوَّر هذا الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ حينما يتحدث عن بشارات المسيح عليه السلام وأن النصارى لما غابت عندهم الموضوعية، حرفوا وبدلوا، إذ يقول: (وأما بشارات المسيح فحملوها كلها على الحواريين، وإذا جاءها ما يستحيل انطباقه عليهم حرفوه وسكتوا عنه، وقالوا: لا ندري من المراد به)[1].

والسؤال الأن: أليس ما فعلته النصارى مما يتعلق بمقارنات الأديان واعتقادها، سيؤثر سلبا على الحوار الديني حالة قيامه مع وجود مثل هذا التحريف والتبديل؟ إذ لا يمكن الفصل بين ما هو موجود عندهم – متعلقا بالشروح والتفسيرات لديهم مما له تأثير عليهم – وبين ما يقومون به من حوار ديني مع ديانات أخرى خاصة أهل الإسلام.

ومن خلال سؤال آخر تتضح الإجابة بشكل أوضح، وهو: لو أن أهل الكتاب التزموا بالموضوعية في دراساتهم للكتاب المقدس، وأقروا بتلك البشارات الخاصة برسول الله ﷺ، ثم قام حوار ديني معهم، ألم يكن سيتأثر هذا الحوار بما أقروا به أولا؟.

ومن خلال ما سبق تتضح العلاقة الوثيقة بين المنهجية الماثلة في القرآن الكريم – كمنهج لابد منه حالة قيام تلك الدراسات حتى يُضمن سلامتها – وبين الحوار الديني بين أهل الديانات المختلفة، وتظهر تلك العلاقة من خلال ما يلي:

أ- إن النزوع العقدي وتأثيراته على أتباعه أمرٌ لا محيص عنه، وإذا قام الحوار الديني – من خلال القرآن الكريم – على تلك المنهجية الظاهرة في الموضوعية المنشودة، فإن تأثير هذا على أتباع كل دين سيظهر على الحوار الديني بناء على هذه الحالة من النزوع.

ب- إن كثيرا من الدراسات الدينية المقارنة تثبت بالأدلة أن هذا الأصل – الموضوعية – حينما يتم

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، الإمام محمد ابن قيم الجوزية، تحقيق: د/ محمد أحمد الحاج، ص٤١٤، دار القلم، دمشق ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م. الطبعة الأولى.

تقريره وتقعيده والانطلاق منه والرجوع إليه والأخذ بلازمه، يدخل الشخص في دين الإسلام في الحال، وبالتالي تنتفي كل شارات المجادلة بالباطل والمكابرة والمعاندة، ويسير الحوار الديني على وتيرة الموضوعية فتُلقي بثمارها، وهي الدخول في الإسلام بفضل الله تعالى.

ج – لو تمَّ القول بالفصل بين شارات المنهجية التي أرساها القرآن الكريم من جانب، والحوار الديني من جانب آخر، فحينئذ سيكون الفصل بين السبب والنتيجة، والأصل وفرعه، والشيء ولازمه؛ إذ المقارنات الدينية – التي ذكرها القرآن الكريم – تمثل قواعد بناء ؛ ثم يكون الانطلاق في الحوار من خلال تلك القواعد، وهي التي تمثل أصلا لهذا الحوار، فما يشتمل عليه الأصل (القواعد المنهجية في القرآن الكريم)، ينطبق على الفرع، وهو الحوار المنطلق منه.

المطلب الثاني: تحديد الألفاظ وعدم التعميم

وتأتي المنهجية الواضحة الماثلة في القرآن الكريم، لتلقي بظلالها الوافرة على الحوار الديني المنطلق من خلال هذا الكتاب العزيز، ويكون أحد تلك الأصول المنهجية المقررة في هذا الكتاب المحفوظ هو (تحديد الألفاظ تحديدا دقيقا، وعدم تركها مُعَمَّمَة مائعة بدون تحديد).

إن أي علم – أقول أي علم – تحتم الدقة فيه والمنهجية المقررة لديه تحديد أطره وألفاظه تحديدا يمنع فيه كل ما يتردد بين أمرين أو مفهومين؛ حتى يتم القطع بالمطلوب وإقامة الاستدلال على المقصود دون ما سواه، والحوار علمٌ من تلك العلوم بلا ريب.

وليكن القرآن الكريم بادئ المنطلق؛ إذ هو عمدة الدراسات المقارنة بلا أدنى ريب، فضلا عن كونه عمدة الحوارات الدينية أيضا، وذلك في قوله تعالى: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيْسُواْ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٢ – ١١٣].

دلالات التقعيد وشارات المنهجية

تأتي تلك الآيات في سورة آل عمران في معرض الحديث عن أهل الكتاب، لتجمع بين ذمٍ لقوم منهم، فضلا عن مدح لقوم آخرين منهم أيضا، وبين الذم والمدح تظهر شارات تقرر تأصيلا للحوار الديني في التقعيد لبناء منهجي له، تقرر لحوار منضبط هادف، ليبتعد به عن كل أمارات التعميم والميوعة اللفظية والمعنوية.

ومن تلك الشارات الماثلة في تلك الآيات ما يلي:

أ- تأتي تلك الآيات ظاهرة واضحة في الحديث عن أهل الكتاب، وهم قومُ مغايرون لأهل الإسلام، ومقرراتُ ما لديهم تخالف ما لدى أهل الإسلام في كثير جدا من عقائده وتشريعاته وأخلاقه، فيمثل هذا مقارنة واضحة في محيط أديان مغايرة للإسلام الحنيف.

ب- وبينما يتحدث القرآن الكريم عن أديان مغايرة، فاحتمالية قيام الحوار معهم سيكون حوار دينيا أيضا بلا شك؛ إذ إن الحوار سينطلق من تلك المغايرة لا محالة.

ج- ويستعمل القرآن الكريم ألفاظا غاية في الدقة وقوة في الإحكام وروعة في التحديد، إذ يستخدم ألفاظا

قاطعة في دلالاتها، لا تحتمل معنى ومعنى آخر، فألفاظ مثل (الذلة – الحبل – الغضب – المسكنة – الأنبياء....الخ) كلها ألفاظ واضحة، لا غموض فيها ولا التواء، معلومة لدى المستمع، لا تترك في نفسه مثارا لغموض أو منزعا لتردد، وهنا تحديد الألفاظ الذي يرنوا الباحث إلى إثباته في الحوار الديني منطلقا من القرآن الكريم.

د– وتأتي ثانية الآيتين لتستثني صنفا ليسوا كمن سبقهم؛ إذ هم في أوصافهم يغايرون مَنْ هم مِنْ جنسهم، فلم يشملهم القرآن الكريم بوصف واحد، أو يحيطهم بحكم عام، بل يقطع الأحكام العامة ليجعل في ثناياها حكما مستثنى، ليعطي كل صنف حقه، ويمنع تعميم الأحكام في أبهى صور العدل والإنصاف.

ومن هاتين الآيتين يُلاحَظ أنها (لم تصدر الأحكام شاملة على كل المسيحيين، ورهبانهم وأحبارهم، بل كان الاستثناء دائما لتلك الفئة القليلة ممن اتبعوا الحق، ولم يحرفوا ديانة المسيح ﷺ، وآمنوا برسالة النبي الكريم ﷺ بعد ما تبيَّن لهم الحق)[1].

وليس المقصود في الآيتين المسيحيين فقط، بل الآيتان تشملان اليهود أيضا، وحكم الاستثناء وعدم التعميم فيها عام يشمل أي مخالف بلا ريب.

لكن السؤال الأن: ما العلاقة بين هذا التقعيد من خلال هاتين الآيتين وهذا الأصل المنهجي – أعني تحديد المفاهيم وعدم التعميم – فيما يتعلق بالحوار الديني؟.

والإجابة على هذا السؤال تكمن في تلك النقاط التالية بإذن الله تعالى، وهي:

أ– إن القرآن الكريم يمثل مصدرا خصبا للدراسات المنهجية المقارنة في هذا العلم – علم مقارنة الأديان – وما يُقتَبَس منه يكون مثله أيضا، كانطباق الكل على الجزء.

ب– أن هذا فضلا عن كونه مقتبسا من تعاليم الإسلام الحنيف ويُطَالَب به أتباعه فهو أيضا مما اتفق عليه العقل وينادي به الواقع، فمن (أدب الحوار في الإسلام: تحديد المفاهيم، وضبط الأحكام؛ لأنه من المتفق عليه بين العقلاء أن فهم الأمور فهما سليما، يؤدي إلى الحكم الصحيح عليها)[2].

ج– أن التحاور بين طرفين أو أكثر يحتاج إلى ضبط وإحكام وتدقيق، وتوصيف صحيح وتقعيد منهجي رصين، وهذا كله لا يتأتي إلا من خلال تحديد المفاهيم تحديدا صحيحا يقوم عليه توصيف منهجي صحيح، يقطع بالمطلوب ويحدد المقصد ويفي بالغرض دون ما سواه.

---

(١) الحوار الإسلامي المسيحي، بسام داوود عجك، ص٨٧.

(٢) أدب الحوار في الإسلام، أ.د/ محمد سيد طنطاوي، ص٥٣. دار نهضة مصر، القاهرة ١٤١٦هـ – ١٩٩٧م.

د- في حالة قيام حوار ديني بلا تحديد للألفاظ والمفاهيم، فسينتج عن ذلك: خلط، وعشوائية، واضطراب مفاهيمي... الخ، وكلها مما ينذر بنتائج غاية في الخطأ.

إن تحديد المفاهيم والمصطلحات المنبثقة منها أمرٌ لا بد منه حالة قيام حوار ديني هادف، خاصة عند أولئك الذين يؤمنون بمصطلحات خاصة بهم، فيجوز – بل المستحسن – مخاطبتهم بتلك الألفاظ لديهم، فـ(أما مخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم ولغتهم فليس بمكروه، إذا احتيج إلي ذلك وكانت المعاني صحيحة، كمخاطبة العجم من الروم والفرس والترك بلغتهم وعُرفهم، فإن هذا جائز حسن للحاجة، وإنما كرهه الأئمة إذا لم يحتج إليه.

ولهذا «قال النبي ﷺ لأم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص . وكانت صغيرة فولدت بأرض الحبشة، لأن أباها كان من المهاجرين إليها . فقال لها يا أم خالد، هذا سنا» "[1] والسنا بلسان الحبشة الحسن، لأنها كانت من أهل هذه اللغة)[2].

فيلاحظ أن النبي ﷺ قد استخدم مصطلحا له مدلول معين يُحدَد به المفهوم الناتج عنه.

وإنما تم ذكر مخاطبة الغير بمصطلحاتهم الخاصة بهم؛ لأن ذلك يترتب عليه الأصل المنهجي المقصود، وهو تحديد المفاهيم وعدم التعميم أيضا.

وقد ورد في التاريخ الإسلامي ما يمثل تطبيقا عمليا لصورة الحوار الديني، منتظما هذا الأصل المنهجي (تحديد المفاهيم وعدم التعميم).

فقد (روي أن هارون الرشيد[3] كان له علج طبيب، له فطنة وأدب، فودَّ الرشيد أن لو أسلم، فقال له يوما:

---

(١) رواه البخاري بسنده عن عمرو بن سعيد بن العاص عن أبيه عن أم خالد بنت خالد، كتاب: اللباس، باب: ما يُدعى لمن لبس ثوبا جديدا، رقم (٥٨٤٥)، ص١٤٧٧. دار ابن كثير، دمشق ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢م. الطبعة الأولى.

(٢) درء تعارض العقل مع النقل، الإمام أحمد بن تيمية، تحقيق: د/ محمد رشاد سالم، ج١، ص٤٣، مطبوعات إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، ١٤١١هـ – ١٩٩١م. بدون رقم طبع.

(٣) هارون الرشيد: (١٤٩ – ١٩٣ هـ = ٦٧٧ – ٨٠٩ م): هارون ابن محمد (المهدي) ابن المنصور العباسي، أبو جعفر. خامس الخلفاء العباسيين في العرق وأشهرهم. ولد بالري ومات في (سناباذ) بقرى طوس. كانت ولايته ٢٣ سنة وشهران وأيام. ينظر: الكامل في التاريخ، الإمام محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير، ج٥، ص٣٥٢: ٣٥٨، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م. الطبعة الأولى. و: الأعلام، خير الدين الزركلي، ج٨، ص٦٢. دار العلم للملايين، بيروت ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م. الطبعة الخامسة.

يوما: ما يمنعك عن الإسلام؟ فقال: آية في كتابكم حجة على ما انتحله. قال: وما هي؟ قال: قوله تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ ﴾ [النساء: ١٧١]، وهو الذي نحن عليه.

فعظم ذلك على الرشيد وجمع له العلماء فلم يحضرهم جواب ذلك، حتى ورد قوم من خراسان فيهم علي بن وافد[١] من أهل علم القرآن، فأخبره الرشيد بالمسألة فاستعجم عليه الجواب، ثم خلا بنفسه وقال: ما أجد المطلوب إلا في كتاب الله. فابتدأ القرآن من أوله وقرأ حتى بلغ سورة الجاثية إلى قوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ ﴾ [الجاثية: ١٣]، فخرج إلى الرشيد وأحضر العلج فقرأها عليه، وقال له: إن كان (وروح منه) يوجب أن يكون عيسى بعضا منه تعالى وجب ذلك في السموات والأرض.

فانقطع النصراني ولم يجد جوابا، فأسلم النصراني وسُرَّ الرشيد بذلك[٢].

فتحصَّل من هذا الحوار أمورٌ هي غاية في تقرير المراد، ومن ذلك:

أ- إن ما قام به (علي بن وافد) رحمه الله هو عين المطلوب من تحديد المفاهيم، فحدد المقصود من الروح، من خلال قياس الآية في قصة عيسى عليه السلام على الآية في سورة الجاثية.

ب- إن الآية التي استدل بها النصراني آتية في طيات الدراسات المقارنة الماثلة في كتاب الله، ومن هنا ضمَّ إليها الطرف المسلم ما يحدد مفهومها ويجليها للنصراني، فكانت حاضرة – وبقوة – في الحوار الديني.

ج- إن ما قام به النصراني يُعد تعميما في حق عيسى عليه السلام، أي أن (روح الله تعالى) عامة في عيسى تشمله، فأبطل الطرف المسلم هذا التعميم بما ورد في حقِّ السموات والأرض.

---

(١) الإمام علي بن الحسين: مولى الأمير فاتح خراسان عبد الله بن عامر بن كريز القرشي. الإمام المحدث الصدوق أبو الحسن المرزوي. مُحَدِّث مرو. كان عالما صاحب حديث كأبيه. حدَّث عن جماعة منهم أبو حمزة السكري وسليم مولى الشعبي وغيرهما. وحدَّث عنه جماعة منهم: إسحاق بن راهويه وعلي بن خرشم وغيرهما. ولد في سنة ثلاثين ومائة، وتوفي سنة إحدى عشر ومائتين. ينظر: سير أعلام النبلاء، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ج١٠، ص٢١١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م. الطبعة الأولى. و: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، ج٣، ص٥٦. دار ابن كثير، دمشق ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م. الطبعة الأولى. ويلاحظ أن اسمه كما أورده صاحب (عيون المناظرات): علي بن الحسين بن وافد بالفاء، وما أورده غيره من أصحاب التراجم (واقد) بالقاف، ولم أجد ما أورده صاحب (عيون المناظرات)، ولعله تصحيف.

(٢) عيون المناظرات، أبو علي عمر السكوني، تحقيق: سعد غراب، ص٢٠٧، ٢٠٨، منشورات الجامعة التونسية، تونس ١٩٢٦م.

د- لم ينطلق الطرف المسلم (علي بن وافد) في تحديد المفاهيم، إلا من خلال القرآن الكريم، وهنا يأتي القرآن مقعِّدا ومؤصِّلا لذلك، وهو عين ما يرنو الباحث إلى إثباته، فلله الحمد والمنة.

من هنا يتضح أن (تحديد المفاهيم وعدم التعميم) كما هو منهج متبع وأصل منهجي في القرآن الكريم، فهو كذلك منهج وقاعدة في إقامة حوار ديني منضبط، يؤتي ثماره بإذن الله تعالى.

المطلب الثالث: إقامة الدليل

من أكثر الأمور المنهجية التي لا محيص عنها لحوارٍ منضبط هادف، بعيد عن اللجاجة واللغط، تقوم به الحجة ويُفحم به المعاند ويحجم به المكابر، أن يكون هذا الحوار قائما على الدليل الصحيح، الواقع في محله، الجامع لمناطاته، والمتحاكم إلى لوازمه، المنضبط بضوابط الاستدلال الصحيح.

والقرآن الكريم قد قعَّد لهذا المنهج الخالص، وطالب به الخصوم، وجعل مدار صدق الدعوى على الاتيان بالدليل، إذ يقول الله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ [البقرة: ١١١].

فتحصَّل من الآية الكريم أمور:

أ- أن الآية جاءت في سياق محاورة أهل الكتاب ورد دعواهم، فهي إذاً في مجال الحوار الديني.

ب- أن طلب القرآن إقامة الدليل يقرر بأن إقامته يؤدي إلى صدق الدعوى، ولو خلت الدعوى من دليل لأصبح أصحابها كاذبين لامحالة.

ج- لمَّا أطلق أهل الكتاب الدعوى بلا دليل يؤيدها أو برهان يعضدها، سقط الحوار الديني معهم في استخلاص النتائج، إذ الملاحظ أن القرآن لم يسترسل في مناقشة الدعوى، بل طالب الخصوم بإقامة الدليل عليها.

د – وإذا كان القرآن الكريم له السبق في المطالبة بالدليل، ثم بعد ذلك تكون جميع المحاورات الدينية على هذا المنوال، فحينئذ يكون القرآن الكريم وحده – مضافا إليه السنة النبوية – أول من قعَّد لهذه القاعدة في حوار منهجي منضبط، وهو عين المقصود بفضل الله تعالى.

وإذا كان (القرآن الكريم) قد كان هذا منهجا من مناهجه، فإن هذا قد ألقى بظلاله على (الحوار الديني) حيث انطلاقه من هذا الكتاب العظيم وتشبعه به.

إن كثيرا من المشتغلين بدراسة القرآن الكريم والمنطلقين منه لحوارٍ ديني منضبط، قد قرروا هذا الأصل المنهجي الماتع، والتزموا به في حواراتهم الدينية تلك، ومن هؤلاء داعية العصر الشيخ (أحمد ديدات[1] رَحِمَهُ اللَّهُ)،

---

(١) ولد الشيخ أحمد حسين ديدات عام ١٩١٨ م في بلدة (تادكيشنار) بولاية (سوارات) الهندية. هاجر إلى جنوب إفريقيا في عام ١٩٢٧ م ليلحق بوالده. في بداية الخمسينيات أصدر كتيبه الأول: " ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد ﷺ؟ "، ثم نشر بعد ذلك أحد أبرز كتيباته: " هل الكتاب المقدس كلام الله؟ ". أسَّس معهد السلام لتخريج الدعاة، والمركز الدولي للدعوة الإسلامية بمدينة (ديربان) بجنوب إفريقيا. ألّف الشيخ أحمد ديدات ما

إذ يصوَّر ذلك قائلا: (لقد علمنا الله منذ ١٤٠٠ سنة أن نطالب بالبرهان في حوارنا مع المسيحين، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة: ١١١]، وطلبُ الدليل والبرهان هو الرد الطبيعي والمنطقي، ولكن للأسف لا نفعل ذلك)[١].

وكونه قدعلَّق هذا على منهج القرآن الكريم، فإن هذه الآيات التي أشار إليها الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ آتية في المقارنات والحوارات الدينية، بما تمثل أسسا وأصولا للحوار الديني بلا ريب.

إن تلك المناظرات التي اشتهر بها الشيخ ديدات رَحِمَهُ اللَّهُ تعد صورة حية لحوار منهجي منضبط؛ إذ التزم بقواعد وأصول نجاح هذا الحوار، ومنها إقامة الدليل حالة تلك الحوار.

فـ(المبادئ التي أتى بها القرآن: مِنْ مطالبة للبرهان وتدبر، ومراجعة للكلام بين طرفين من خلال مناقشة هادئة، عُمْدتها الجدال بالأحسن بإيراد الحجج والبراهين، وإسقاطها الواحد تلو الآخر؛ حتى لا يبقى للمحاور بُد من التسليم بالحق، أو ينكشف لغيره تماديه في العناد واللجاج بعد وضوح الحق كرابعة النهار)[٢].

ويظهر هذا جليا في تلك المناظرة وهذا الحوار الذي دار بين الشيخ ديدات رَحِمَهُ اللَّهُ والقس شورش[٣]، فحين (تلا ديدات قول الله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة: ٢٣]. فقال شورش: أنا أستطيع أن آتي بمثل القرآن.

فقال له ديدات: لم يستطع أجدادك أن يأتوا بمثل سورة منه خلال أربعة عشر قرنا وأنت تستطيع؟! قال: نعم. قال: وأنا أتحداك)[٤].

هذا، ومن خلال ما تمَّت الإشارة إليه – فيما يتعلق بالشيخ أحمد ديدات رَحِمَهُ اللَّهُ تبقى الإشارة هنا إلى

يزيد عن عشرين كتاباً، وطبع الملايين منها لتوزع بالمجان بخلاف المناظرات التي طبع بعضها، وقام بإلقاء آلاف المحاضرات في جميع أنحاء العالم. ولهذه المجهودات الضخمة مُنح الشيخ أحمد ديدات جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٩٨٦ م (بالمشاركة). توفي في أغسطس ٢٠٠٥م. ينظر: هذه حياتي، سيرتي ومسيرتي، أحمد ديدات، ص٤، نسخة إليكترونية.

(١) هذه حياتي – سيرتي ومسيرتي، أحمد ديدات، ص٥٩. نسخة إليكترونية غير مطبوعة.

(٢) الشيخ أحمد ديدات ومنهجه في الحوار والدعوة وأهم مجالاته التطبيقية الممكنة، د/ حمزة مصطفى ميغا، ص٢٣٩، مطبوعات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م.

(٣) لم أعثر له على ترجمة.

(٤) بين الإنجيل والقرآن، الشيخ أحمد ديدات، ص٦٤، مطبوعات مجلة المختار الإسلامي، مصر، بدون تاريخ.

بضعة أمور لابد من التنويه عليها والإشارة إليها، ومن ذلك ما يلي:

أ- في ذِكْر الشيخ أحمد ديدات رَحِمَهُ اللَّهُ نموذج ومثال على المطلوب، وليس معنى هذا أن بقية القائمين بالحوار لم ليتزموا بهذا، بل هو كمثال يكتفى به للتدليل على المقصود.

ب- في كلمات الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يلاحظ تكرار لفظة (الحوار)، وهذا عين ما يرنو الباحث إلى إثباته؛ إذ هو دليل على تشبع الحوار – بمنهجيته – بأصول ما انتهجه القرآن الكريم في هذا المضمار من منهجية أيضا.

ج- في التزام الباحثين – في الدراسات المقارنة (علم مقارنة الأديان) – بإقامة الدليل، وكذا التزام المتحاورين به يؤكد على أن هذا أمر بديهي مُسلم به، لا يمكن غض الطرف عنه بحال، وأن كلاهما (علم مقارنة الأديان والحوار الديني) متشبعٌ من منهجية القرآن الكريم في هذا المضمار لا محالة.

د- كثير من المناظرات الدينية التي قام بها الشيخ – ديدات رَحِمَهُ اللَّهُ يُلاحظ فيها أن الغلبة – بفضل الله تعالى – تكون له، وأنه يمتلك الحجة والإفحام حالة الحوار، وهذا لم يكن في الأصل – بعد فضل الله تعالى – إلا بالالتزام بالدليل والوقوف على مراميه والإحاطة بمناطاته وكيفية الاستدلال به وإلزام المعاند من خلاله.

هـ- يُعلم من هذا أن غير الملتزمين بإقامة الدليل حالة الحوار الديني، لم يلتزموا بالمنهجية التي ينضبط من خلالها الحوار الديني الهادف، وكذا لم يلتزموا بقواعد ما دلَ عليه القرآن الكريم، وفصلوا بينه وما يشتمل عليه من أصول ومبادئ، والحوار الديني وما يتطلبه من أصول ومبادئ أيضا.

و- في تلك المناظرة التي دارت بين الشيخ ديدات والقس شورش يتضح منهج الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في التزامه بإقامة الدليل، حيث أقامه مرتين، الأولى: فيما تلا من سورة البقرة، والثانية: حينما تحدى القس أن يأتي بمثل القرآن، إذ وقوع التحدي وإثبات العجز من القس دليل في حد ذاته على صدق القرآن الكريم وصدق مَن نزل عليه ﷺ.

ز- حينما يقول الشيخ ديدات رَحِمَهُ اللَّهُ في النص الأول: (لقد علمنا الله منذ ١٤٠٠ سنة أن نطالب بالبرهان في حوارنا....)، ثم ينطلق هو من هذا المنهج الذي قعَّد له القرآن الكريم، فإن هذا دليل قاطع على تأثير القرآن الكريم في تلك المحاورات الدينية المنضبطة.

هذا، ومطالبة القرآن خصومه بإقامة الدليل على دعواهم، وكذا كونه أمرا مُسَلَّما به حالة الحوار الديني دليل قوي على تلك المنهجية الماثلة في القرآن الكريم من جانب، وكذا الحوار الديني من جانب آخر، فاللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

المطلب الرابع: وثاقة النص أو القول

لا ريب في أن هناك علاقة قوية جدا بين القول بإقامة الدليل على المقصود، وصحة هذا الدليل ووثاقة وروده من ناحية أخرى، والاكتفاء بالأولى (إقامة الدليل) دون الثانية (صحة الدليل ووثاقته) تضييع للمنهج، وتفويت للمصلحة، وإهدار للوقت، وخطأ في النتيجة بلا ريب.

القرآن الكريم يُقعِد لهذا الأصل المنهجي الماتع:

والقرآن الكريم – وهو منبع المحاورات الدينية في هذا المضمار – يقرر هذا الأصل، ويدعو المخالف إليه، ويقيم الحجة عليه من خلاله، وهو الواضح من قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [آل عمران: ٩٣].

وتأتي تلك الآية الجليلة في معرض الحديث عن أهل الكتاب – اليهود منهم خاصة – لتقرر منهجا علميا حواريا ماتعا، ينبغي التوقف عنده والأخذ به لا محالة.

وما تحمله الآية من دلالات على تقرير هذا الأصل المنهجي (وثاقة النص وصحة الدليل) يظهر من خلال ما يلي:

أ- تأتي تلك الآية في بيان بعض ما كان للقوم (اليهود) من تحليل الطعام لهم، ولا ريب أن اليهود قومٌ مخالفون للإسلام وأهله، فثبت أن تلك الآية آتية في الدراسات المقارنة بلا شك.

ب- يُلاحظ أن القرآن الكريم طالب اليهود بالاتيان بالتوراة، حتى يكتشفوا صدق ما قاله القرآن الكريم، مما هو موافق مع التوراة في الصحيح منها، مما يسمى بقايا الصحيح، إذ معنى قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ أي(فإنها ناطقة بما قلناه)(١)، فطالب بـ (الرجوع إلى التوراة والاستيثاق منها) لتقرير ما قاله القرآن الكريم.

ج- علَّق القرآن الكريم صدق القوم على إتيانهم بالتوراة، وكونها تصدقهم في ادعائهم، وفيه دليل على أن الاتيان بالدليل والرجوع إليه والاستيثاق منه ومن صحته يؤدي إلى صدق الدعوى بلا شك.

د- بمفهوم المخالفة يُعد عدم الدليل، أو الاتيان به لكن كان كاذبا أو غير موافق للدعوى كذبا بلا ريب، يُسقط الدعوى، ولا تقوم به الحجة، وتُرَد الدعوى على صاحبها حينئذ.

هـ- في تفسير (الجامع لأحكام القرآن) ما يؤكد أن وثاقة القول هو عين المطلوب في تقرير أن ذلك

---

(١) تفسير القرآن العظيم، الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، ج٢، ص٧٦، دار طيبة، المملكة العربية السعودية ١٢٤٠هـ – ١٩٩٩م. الطبعة الثانية.

أصلٌ منهجيٌ عظيمٌ، إذ إن النبي ﷺ قد (أمرهم أن يأتوا بالتوراة فأبوا، يعني عرفوا أنه قال ذلك بالوحي)[١]، ولو رجعوا إلى التوراة – كما أمر القرآن الكريم – لتأكدوا صدق النبي وكذب دعواهم، والرجوع إليه يعني الاستيثاق منها.

و– إذا كانت الآية في اليهود خاصة، فهذا الحكم يصبح عاما في كل العلوم والفنون، إذ الاستيثاق من الدليل وصحته هو العمدة التي تقوم عليها الدعوى، فلو كان كاذبا أو غير صحيح لسقطت الدعوى بلا ريب.

ز– وإذا كانت الآية الكريم من سورة آل عمران، فيها لفظة القول ﴿ قُلۡ ﴾، ثم المطالبة بالإتيان بالتوراة ﴿ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ ﴾، فهذا أوضح ما يكون في ارتباط هذا الأصل المنهجي بالحوار الديني، فالقول وفعل الأمر يأتي في الحوارات بلا شك.

من هنا كان (من أوجب الواجبات؛ لكي يكون الحوار بين الناس مفيدا ونافعا، وتُرجى من ورائه النتائج الطيبة والعواقب الحميدة: أن يقوم على الحقائق الثابتة، لا على الإشاعات الكاذبة، وأن يُبنى على المعلومات الصحيحة لا على الأخبار المضطربة)[٢].

فلينظر القارئ الكريم كيف علَّق النص جميع فوائد واستنتاجات الحوار على ثبوت وصحة القول المقال أو الخبر المساق، وإلا ضاع المقصود بلا ريب.

ولا شك أن هذا من الأمانة التي ينبغي على المتحاورين الالتزام التام بها، بعيدا عن التدليس والغش والكذب، ذلك أن (نزاهة المحاور وموضوعيته محور أساس من محاور المنهج العلمي، وهي التي يعبر عنها بالمصطلح الحديث: الأمانة العلمية)[٣].

وقد تأثر علماء المحاورات الدينية بهذا الأصل المنهجي، فوثَّقوا مقالاتهم بالأدلة الصحيحة، والاستشهادات القوية التي لا يمكن دفعها أو ردها؛ لقوتها وتنزيلها في منزلها وموقعها، ومن هؤلاء الإمام البيروني[٤] رَحِمَهُ اللَّهُ حيث يقول: ولنورد لك شيئا من كتبهم لئلا تكون حكايتنا كالشيء المسموع فقط....[١].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، ج٥، ص٢٠٥، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦م. الطبعة الأولى.

(٢) أدب الحوار في الإسلام، أ. د/ محمد سيد طنطاوي، ص٤٨.

(٣) الحوار: أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، أحمد بن عبد الرحمن الصويان، ص٨٥.

(٤) البيروني: (٣٦٢ – ٤٤٠ هـ = ٩٧٣ – ١٠٤٨م): محمد بن أحمد، أبو الريحان البيروني الخوارزمي: فيلسوف رياضي مؤرخ من أهل خوارزم. من مشاهير علماء الإسلام. صنف كتبا كثيرة، منها: الآثار الباقية عن القرون

ثم يبين المقصود في صورة حوار ديني بين طرفين فيقول: (قال السائل في كتاب باتنجل :من هذا المعبود الذي ينال التوفيق عبادته؟.

قال المجيب : هو المستغني بأوليته ووحدانيته عن فعل، المكافأة عليه براحة تؤمل وترتجى أو شدة تخاف وتتقى، والبريء عن الأفكار لتعاليه عن الأضداد المكروهة والأنداد المحبوبة، والعالم بذاته سرمدا، إذ العلم الطارئ يكون لما لم يكن بمعلوم وليس الجهل بمتجه عليه في وقت ما أو حال؛ ثم يقول السائل بعد ذلك: فهل له من الصفات غير ما ذكرت؟

فيقول المجيب: له العلو التام في القدر لا المكان، فإنه يجل عن التمكن، وهو الخير المحض التام الذي يشتاقه كل موجود، وهو العلم الخالص عن دنس السهو والجهل.

قال السائل: أفتصفه بالكلام أم لا؟.

قال المجيب: إذا كان عالما فهو لا محالة متكلم.

قال السائل: فإن كان متكلما لأجل علمه فما الفرق بينه وبين العلماء الحكماء الذين تكلموا من أجل علومهم؟

قال المجيب: الفرق بينهم هو الزمان، فإنهم تعلموا فيه، وتكلموا بعد أن لم يكونوا عالمين ولا متكلمين ونقلوا بالكلام علومهم إلى غيرهم فكلامهم وإفادتهم في زمان، وإذ ليس للأمور الإلاهية بالزمان اتصال فالله سبحانه عالم متكلم في الأزل)[٢].

فما قام به البيروني رَحِمَهُ اللَّهُ تقرير للمنهج العلمي في الاستيثاق من الدليل، حيث رجع إلى ما في كتب القوم، ووثق ذلك في كونه مذكورا عندهم، ثم أورد حكاية الحال في صورة الحوار المذكور، كدليل وبينة على هذا الاستيثاق.

الخالية – الجماهر في معرفة الجواهر – تاريخ الأمم الشرقية – تحقيق ما للهند من مقولة في العقل مقبولة أو مرذولة، وغيرها كثير. ينظر: معجم الأدباء المسمى بـ (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، ياقوت الحموي الرومي، تحقيق: د/ إحسان عباس، ج٦، ص٢٣٣٠: ٢٣٣٥، دار الغرب الإسلامي ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م. الطبعة الأولى. و: الأعلام، خير الدين الزركلي، ج٥، ص٣١٤.

(١) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، الإمام محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني، ص٢٠. دار الكتب، بيروت، بدون تاريخ ولا رقم طبع.

(٢) نفس المرجع، ص٢٠، ٢١.

ويظهر هذا جليا واضحا في هذا الحوار الذي جاء على شكل مناظرة بين الشيخ (رحمت الله الهندي رَحِمَهُ اللَّهُ) والقس (كئي)[١] والقس (فرنج)[٢]، حيث (قال الشيخ رحمت الله: إن التابوت لما أُخرج من الهيكل في عهد سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن فيه سوى لَوْحَي العهد، وما كانت فيه التوراة التي كتبها موسى بخط يده. قال القسيس (كئي) و القسيس (فرنج): ما الدليل على ذلك؟

قال الشيخ رحمت الله: في سفر الملوك الأول، الإصحاح الثامن، الآية التاسعة، وهذا نصها (لم يكن في التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك في حوريب[٣] [٤]، حين عاهد الرب بني إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر)[٥].

فما ذكره الشيخ رحمت الله الهندي – عليه رحمات الله تترى – يمثل دليلا، لكنه مشفوع بالتوثيق، ذاكرا موضعه من العهد القديم، مشفوعا ذلك كله برقم الإصحاح والآية، فاتضحت العلاقة وكم التأثير من منهجية القرآن الكريم والحوار الديني، في وجوب الاستيثاق من الدليل والتأكد التام من صحته.

(١) لم أعثر له على ترجمة.

(٢) لم أعثر له على ترجمة.

(٣) حوريب: اسم لجبل ويطلق عليه أيضا سيناء. وهو اسم أيضا للبرية المحيطة به. ويذكر الكتاب المقدس اسم جبل سينا والبرية المحيطة به ٣٥ مرة، و١٧ مرة اسم حوريب. وقد قضى العبرانيون عند هذا الجبل سنة في طريقهم من مارّة وإيليم والبحر الأحمر، ووصلوا إليه بعد قيامهم من مصر بعد ثلاثة أشهر. ينظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٤٩٨. دار الثقافة، القاهرة ١٩٩٥م. الطبعة العاشرة. باختصار شديد.

(٤) سفر الملوك الأول، الإصحاح ٨، الآية ٩.

(٥) مناظرة الهند الكبرى بين الشيخ رحمت الله والقس بافندر، تحقيق وتعليق: د/ أحمد حجازي السقا، ص٨٩، مكتبة الإيمان، المنصورة، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م. الطبعة الأولى. والنص المذكور من المناظرة التي تسمى بالمناظرة الصغرى بين الشيخ رحمت الله الهندي والقس (كئي والقس فرنج).

المطلب الخامس: العلم بموضوع المحاورة ،وكذا فهمه

تأتي ضرورة العلم بالموضوع الذي يمثل محلا- وكذا فهمه فهما صحيحا – للحوار بين طرفين أو أكثر أمرا مسَلَّما به لا محيص عنه إطلاقا في الحوار الديني ؛ إذ كيف تتم محاورة بين طرفين وكلٌ منهما أو أحدهما لا يفقه الموضوع محل المحاورة، أو فَهِمَه لكن فهما سطحيا أو غير دقيق.

ويتوقف نجاح الحوار – عموما – والحوار الديني – خصوصا – على هذا العلم المتعلق بالموضوع محل المحاورة أو المقارنة، مشفوعا بفهمه فهما جيدا لا يتطرق إليه خلل أو سقم.

القرآن الكريم والعلم بموضوع المحاورة:

وتظل – بفضل الله تعالى – آيات القرآن الكريم معطاءة ذات تجدد، في بناء منهجي لحوار ديني هادف، وهو هنا يطالب بأصل منهجي عظيم، ألا وهو (العلم بموضوع المحاورة)؛ حتى تكون تلك المحاورة قائمة على أساس صحيح.

وهذا أوضح ما يكون في قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦ ﴾ [آل عمران: ٦٥ – ٦٦].

دلالات المنهجية وأمارات التقعيد:

تأتي هاتان الآيتان في سياق محاجة القرآن الكريم لأهل الكتاب فيما راموا إليه وحاجَّوا فيه، وبينما يعرض القرآن الكريم مقالتهم، تأتي هاتان الآيتان حاملتين دلالات قوية في التقعيد لمنهجيةٍ صحيحةٍ واضحةٍ في مجال الحوارات الدينية، ومن ذلك – فيما يرى الباحث من وجهة نظره – ما يلي:

أ- لا شك أن مطالبة الآيتين – على ما هي عليه – أهل الكتاب تأتي في مجال الحوار الديني؛ إذ تأتي مُصَدَّرة بنداء لأهل الكتاب، والنداء أولى درجات الحوار، فهي إذاً مما يُؤخذ بهما في الحوار الديني، الذي لا يمكن لمسلم أن ينطلق فيه إلا من خلال تلك الحوارات، التي أصَّل لها القرآن الكريم بلا ريب.

ب- ثم يأتي الإنكار الواضح من القرآن الكريم على أهل الكتاب كونهم قد حاجَّوا فيما ليس لهم به علم، فعدم العلم بالشيء سبب للإنكار عليهم، فدل على أهمية العلم بالموضوع محل المحاورة.

ج- والواضح أيضا أن الآية الأولى قد ذُيِّلت بقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ وتأتي الآية الثانية مذيَّلة بقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦ ﴾ وبينهما توافق واضح وتناسق صريح، وتناغم قوي؛ إذ

الحكم على الشيء بدون علم يؤدي إلى تخبط العقل وعدم التعقل، أو تصوره على غير وجهه الصحيح، ولا شك أن ضياع العلم وغياب التعقل والفهم أولى ضياع المنهج العلمي الصحيح.

د- لم تسوِّ الآيتان إطلاقا بين الخوض في الشيء بعلم فيه، والخوض في نفس الشيء بدون علم فيه، فلم تنكر على الأول، وأطلقت الإنكار في الثاني، وبين الأمرين يتضح المطلوب ويتم القطع بالمراد بفضل الله تعالى.

ومعنى هاتين الآيتين (أنتم يا معشر أهل الكتاب جادلتم وبادلتم الحجة – سواء أكانت صحيحة أم فاسدة فى أمر لكم به علم فى الجملة، كجدالكم فيما وجدتموه فى كتبكم من أمر موسى وعيسى – عليهما السلام – أو كجدالكم فيما جاء فى التوراة والإنجيل من أحكام، ولكن كيف أبحتم لأنفسكم أن تجادلوا فى أمر ليس لكم به علم أصلا، وهو جدالكم فى دين إبراهيم وشريعته؟ لأنه من البديهى أن إبراهيم ما كان يهوديا ولا نصرانيا؛ إذ وجوده سابق على وجودهما بأزمان طويلة.

وإذن فجدالكم فى شأن إبراهيم هو لون من ألوان جهلكم ومخالفتكم لكل ما تقتضيه العقول السليمة، والنفوس المستقيمة)[1].

فتحصل من النص التفسيري أمور:

الأول: أن الجدال في شأن إبراهيم بدون علم، ترتب عليه وصفهم بالجهل؛ إذ العلم والجهل لا يلتقيان في بوتقة واحدة بلا شك.

الثاني: أن العقل السليم جُبل على ذِكْر الشيء مقرونا بعلم فيه ودليل عليه، وبدون ذلك يُعد مخالفة لتلك العقول السليمة.

الثالث: أن وجود العلم على الجملة قد ينجي صاحبه من مغبة اللوم ووصفه بالجهل، وهذا واضح من قوله: (أنتم يا معشر أهل الكتاب جادلتم وبادلتم الحجة – سواء أكانت صحيحة أم فاسدة فى أمر لكم به علم فى الجملة....)، وهو دليل على أهمية العلم بموضوع الجدال أو الحوار أو أي شيء آخر، أما الذي يجرُّ إلى اللوم والوصف بالجهل هو انتفاء العلم أصلا، والتكلم عن جهل.

الرابع: إن ألفاظا ماثلة في هذا النص ترتبط بالحوار الديني جملة وتفصيلا، مثل (جادلتم – كجدالكم...)، ولا شك أن الجدال صورة حيَة من الحوار الديني.

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، أ.د/ محمد سيد طنطاوي، ج٢، ص١٨٠ مطبعة السعادة، القاهرة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م. الطبعة الثانية.

ولذلك فإن (العلم من أهم أسباب نجاح الحوار، وبدونه يكون الضرر كبيرا؛ إذ يصبح الحوار تضييعا للوقت والجهد، والعلم المقصود هو العلم المتعلق بموضوع الحوار ومادته، والعلم بما ينقض الرأي المخالف للصواب، ومعرفة الردود والأجوبة القوية التي يمكن أن تواجه بها الشبهات والاعتراضات التي يثيرها الطرف الآخر)[١].

وما قيل في العلم بموضوع المحاورة والمقارنة، يقال بنفس القدر في فَهْمِ هذا الموضوع فهما عميقا صحيحا، إذ العلم والفهم – في هذا المضمار – صنوان لا يفترقان على الإطلاق؛ إذ لا يُتصور وجود أحدهما دون الآخر البتة.

ولخطورة الجهل بهذا الأمر، ولعظم شناعة فقدان العلم حال المحاورة، فإن ضعيف العلم قليل الحجة سقيم الفهم ليس له أن يناظر أو يحاور أصلا؛ إذ ضرره أكثر من نفعه بلا ريب، ف (قد ينهون عن المجادلة والمناظرة، إذا كان المُناظِر ضعيف العلم بالحجة وجواب الشبهة، فيخاف عليه أن يفسده ذلك المضل، كما ينهى الضعيف في المقاتلة أن يقاتل علجاً قوياً من علوج الكفار، فإن ذلك يضره ويضر المسلمين بلا منفعة)[٢].

إن قوة الحجة وسلامة الفهم وحسن العلم بموضوع الحوار يمثل سلاحا للمُحَاوِر، فكيف له أن يحارب بدون معرفة سلاحه، ومواطن استعماله، وكيفية هذا الاستعمال... الخ؟.

وباستقراء بعض المحاورات في مجال الحوار الديني تبيَّن واضحا جليا أن هذا الضابط والأصل المنهجي قد فهمه جيدا علماء الإسلام، في تلك المحاورات التي قاموا بها في دعوتهم إلى الله تعالى.

ويمثل الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ صورة واضحة للمُحَاوِر العالم الفقيه، الذي يضع الأمور في نصابها، ويحتج على المخالف بفقه واضح وفهم مستنير، (فهو عندما يخاطب النصارى يستدل على حديثه بما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ويلزمهم بما جاء في كتبهم، سواء أكان الكتاب المقدس عندهم، أم كتب أَلَّفها بعض أساقفتهم في فروع دينه وأصوله، ويُظهر الكثير من تناقضاتهم فيها، كما يستشهد على آرائه بشواهد اللغة العربية، وبالأحداث التاريخية، والحكم والأمثال، وغيرها مما يعضد حجته ويقوي دليله)[٣].

---

(١) الحوار في الإسلام، أ. د/ عبد الله بن حسين الموجان، ص٧٧. مطبوعات مركز الكون، السعودية ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م. الطبعة الأولى.

(٢) درء تعارض العقل مع النقل، الإمام أحمد بن تيمية الحراني، ج٧، ص١٧٣.

(٣) مقارنة بين أسلوب الإمامين القرطبي والقرافي، د/ بيسان صالح حسن، ص١٢٦، رسالة دكتوراه، قسم الدعوة

وما فعله الإمام القرطبي تقرير لذلك الأصل المنهجي الذي ينبغي أن يكون في كلِ حوار ديني بلا شك.

لكن.... أين حوارات الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ؟ وكيف يظهر ذلك من تلك الحوارات؟.

الحق أن الإمام القرطبي – في كتابه الماتع (الإعلام)، قد اتخذ أسلوب الحوار المكتوب من ناحية، وجعل هذا الحوار في صورة سؤال بينه وبين نفسه من ناحية أخرى، فجعل الحوار في صورة: فإن قال كذا قلنا كذا، وإن قلت كذا قلنا كذا، وهذا الأسلوب يأخذ كل ما يشتمل عليه الحوار من آداب وأصول ومبادئ، لكن (الحقيقة فإن مثل هذا الحوار المفترض وإن كان يسأل المحاوِر نفسه، ويمكنه التحكم في الاعتراضات التي يفترضها بحيث تكون تحت سيطرته، فإن الخطورة واضحة في أنه قد لا يستطيع أن يأتي برد يقنع القارئ للاعتراض الذي افترضه، فيخسر الجولة ويقضي على نفسه بيده.

وقد كان القرطبي مُوفَّقا إلى أبعد الحدود في مثل هذا الأسلوب، وكانت الاعتراضات التي يفترضها شاملة للجانب الشرعي والجانب العقلي، مما يدل على أنه لم يكن يتحكم في إيراد الاعتراضات، وأنه كان على ثقة تامة من نفسه، وبالحجج التي بين يديه، وعدم خوفه من أن ينقلب الأمر عليه)[1].

وكون الإمام القرطبي يورد تلك الأسئلة، ثم يجيب على نفسه، فيه دليل على قوة مبادئ الحوار عند الإمام وتملكه منه، وكثرة علمه وحظه الوافر من الفهم الصحيح فيما يورد فيه من الأسئلة.

ومن مواضع الحوار المكتوب والذاتي (إن صح التعبير)، ما أورده الإمام في إجابته على بعض توهمات وقع فيها المخالف، وهي في الوقت نفسه دليل على علم واضح بموضوع المحاورة من الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث يقول: (ثمَّ من عَجِيب أَمر هَذَا السَّائِل وأدلّ دلِيل على بلادته وجهله، أَن هَذِه الْخطْبَة الَّتِي صدر بهَا كِتَابه على مَا هِيَ عَلَيْهِ من تثبيج[2] النّظم وَعدم الفصاحة، إِنَّمَا نقلهَا من رِسَالَة عبد الرَّحْمَن بن عصن ختن شبيب[3]، الَّتِي كَانَ أساقفة النَّصَارَى كتبُوا بهَا إِلَى الإِمَام الزَّاهِد أبي مَرْوَان بن ميسرَة[1] ونسبوها لعبد الرَّحْمَن،

والاحتساب، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود، المملكة العربية السعودية ١٤٢٠ – ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠ – ٢٠٠١م.

(١) مقارنة بين أسلوب الإمامين القرطبي والقرافي، مرجع سابق، ص٢٩١.

(٢) يأتي المصدر (تثبيج) من مادة (ثَبَجَ)، وقد جاء في معجم ابن فارس (الثاء والباء والجيم كلمة واحدة تتفرع منها كلِمٌ، وهي معظم الشيء ووسطه قولهم: ثَبَّج الكلام تثبيجا: فهو أن لا يأتي به على وجهه. وأصله من الباب؛ لأنه كأنه يجمعه جمعا فيأتي به مجتمعا غير ملخص ولا مفصل). ينظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج١، ص٣٩٩، ٤٠٠. باختصار.

(٣) بعد طول بحث واستقصاء جهد لم أعثر له على ترجمة.

وَكَانُوا قد اجْتَمعُوا على كتَابَتهَا بطليطلة[٢] أَعَادَهَا الله، فَلَمَّا كتبوها بعثوا بهَا إِلَى القَاضِي أبي مَرْوَان بن ميسرَة، فَبعد أَن بذلوا جهدهم وأجهدوا جهدهمْ، كتبُوا لَهُ رِسَالَة مفتتحها هَذِه الْخطْبَة، فِي بطاقة صَغِيرَة عدد أسطارها نَحْو ثَلَاثِينَ، لحنوا فِيهَا وصحفوا فِي تِسْعَة وَعشْرين موضعا، مِنْهَا وَمَعَ ذَلِك فأخلوا بالْكلَام وَلم يتَحَصَّل لَهُم من سُؤَالهمْ مطلب وَلَا مرام)[٣].

ثم يبيّن عوار هذا السائل المخالف، ويوضح له الصحيح من السقيم مما وقع فيه، قائلا: (فَلَو كَانَ هَذَا السَّائِل عَارِفًا بمصالحه، مُمَيّزا بَين محاسنه ومقابحه، لاكتفى بإفحام أساقفته الْمُتَقَدّمَة وعثرته الجاهلة المضممة، ولكان يستر ظَاهر خطاياهم وركيك كَلَامهم، وَلَكِن أَرَادَ الله تَجْدِيد مَا قدم لَهُم من الفضيحة بمقالة صابية[٤] صَحِيحَة.

ثمَّ ليته إِذْ نقل إِلَى كِتَابه كَلَامهم لم يُفَسر الْمَعْنى وَلم يُغير اللَّفْظ، بل غَيره تغييرا يدل على عدم الهجاء وَقلة الْحِفْظ، فَقَالَ: الحمدلله بَالغ القوى، وَهِي فِي كِتَابهمْ الْمُتَقَدّم الذّكر الَّذِي نقل مِنْهُ: الحمد لله بأبلغ القوى)[٥].

وتتضح صورة الحوار أكثر، فيما بين: القول والمقول، والسائل والمجيب، في نحو قوله: (وَأما قَوْلك: وَأَنْتُم لما أوجبتم أَن الْأمة تُحَاسَب بعملها يَوْم الْقِيَامَة أَن مُحَاسِبَهَا يخاطبها يَوْم الْقِيَامَة ويكافئها بأعمالها، فقد كَانَ يَنْبَغِي لَك أَلا تحتج بِشَيْء لم يثبت عنْدك أَصله وَلَا تصدق بنقله، ثمَّ لَا حجَّة لَك فِي شَيْء مِمَّا ذكرته؛ وَذَلِكَ أَن محاسبة الله تَعَالَى للعباد فِي الدَّار الْآخِرَة مِمَّا يجب الْإِيمَان بهَا وَمِمَّا قد تواردت عَلَيْهِ الشَّرَائِع: إما

---

(١) لم أعثر له على ترجمة.

(٢) طليطلة: جاء وصفها في المعجم بقوله: مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس، يتصل عملها بعمل وادي الحجارة من أعمال الأندلس، وهي غربي ثغر الروم. ينسب إليها جماعة من العلماء. ينظر: معجم البلدان، الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، ج٤، ص٣٩ وما بعدها، دار صادر، بيروت ١٣٩٧ هـ – ١٩٧٧م. و الإسلام في طليطلة، د/ عبد المجيد نعني، دار النهضة العربية، بيروت، بدون تاريخ ولا رقم طبع.

(٣) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام، وإظهار محاسن الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، الإمام القرطبي، تحقيق: د/ أحمد حجازي السقا، ص٤٩. القاهرة، دار التراث العربي، بدون تاريخ، ولا رقم طبع.

(٤) جاء في المعجم الوسيط (صابى الشيءَ: أمالَه. يقال: صابى بناءَه، وصابى رمحَه: أماله للطعن به. و– الشيءَ كذلك: جعله على غير وجهه المستقيم. ينظر: المعجم الوسيط، مجموعة مؤلفين، ص٥٠٧.

(٥) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد و الأوهام، مرجع سابق، ص٤٩.

بالتصريح وَإِمَّا بالإيماءات والتلويح)[1].

فتحصَّل من كلام الامام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ عدة أمور تدل على ما يرنو إليه الباحث، من تقرير هذا الأصل المنهجي للحوار الديني، ألا وهو: العلم بموضوع الحوار والفهم الصحيح له، ومن ذلك ما يلي:

أ – إن صورة ما ينحو عليه الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ هو حوار ديني حقيقة ؛ إذ إنه بين مسلم ونصراني، يمثل كل منهما دينين مختلفين.

ب– إن فعل الإمام وقوله يدلان على أنه رَحِمَهُ اللَّهُ في منهجه هذا الذي نهجه، كان يعلم يقينا أنه يتخذ أسلوب الحوار في صورة المناظرة، كما جاء عنه نصا رَحِمَهُ اللَّهُ، وهذا إما بكونه يجعل الحوار دائرا بينه وبين نفسه، وإما نصه على المناظرة وهي في الحقيقة تجري مجرى الحوار.

ج– يتضح هذا الأصل المنهجي (العلم بموضوع الحوار) من تلك النصوص السابقة عن الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ، إذ إنه يبيّن أصل الرسالة، ولمن تُنسب، وكم موضعا ألحن فيه المخالفون، حتى وصل إلى التفريق وبيان اللحن في اللفظة الواحدة، مما يدل دلالة قاطعة على المطلوب والوصول إلى المقصود بفضل الله تعالى وحده.

د– يظهر أيضا في تلك النصوص الفهم الدقيق والفقه الواضح للإمام رَحِمَهُ اللَّهُ، فلم يخلط، ولم يَهِم، ولم يترك جانبا يمكن للخصم أن ينفذ منه، مما يدل على قوة هذا الفهم لديه رَحِمَهُ اللَّهُ.

هـ– إن هذه النصوص عن الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ جاءت جامعة لثلاثة أشياء في سياق واحد، ألا وهي: حوار مكتوب مفترض، ثم الموضوع وهو علم مقارنة الأديان، بجامع علم قوي وفهم مستنير لكل ذلك، وهو عين ما يرنو الباحث إلى إثباته، والحمد لله رب العالمين.

و– إن ما أورده الإمام من أسئلة تأخذ منحى الحوار، ثم قيامه بالرد عليها، يظهر مدى المكانة العلمية، والغلبة في الحجة، والفهم في الإيراد لدى الإمام، من غير خوف أن تُرد عليه أسئلته، أو يفاجَئ بأسئلة غير متوقعة من الخصم بما يفحمه.

ز– ويظهر مدى تفوقه ورسوخه في العلم والفهم معا فيما هو بصده، في كون الاعتراضات التي يفترضها شاملة للجانب الشرعي والجانب العقلي، والجانب الشرعي يمثل العلم مشفوعا بالفهم، والجانب العقلي يمثل الفهم مشفوعا بالعلم بلا ريب.

ح– فيما يتناهى إلى الباحث – إن لم يكن مخطئا فما نحا إليه – أنه لم يوجد ردود أو كتب أومؤلفات

(١) نفسه، ص١٢٢.

من ناحية المخالف – متمثلا في الأتباع وليس في صورته بشخصه – قد تناولت أسئلة الإمام وإيراداته وأجوبته بالرد والتعقب والتمحيص، مما يدل على قوة الحجة والعلم لدى الإمام، وأن ذلك كله نزل بهم أيَّمًا نزول.

ومن خلال هذا الأصل المنهجي المتمثل في الإمام القرطبي، والذي يظهر منه انطلاقه من القرآن في التقعيد للحوار المنهجي الهادف، يمكن القول بأنه قد (ساعدت البيئة الأندلسية الإمام القرطبي في معرفة مصادر المدعو عن قرب بكم وافر، والاطلاع على عقائدهم، وعباداتهم، وعاداتهم، وخرافاتهم وحكاياتهم،

مما مَكَّنه من أن ينوَّع في طرق الرد عليهم، وكشف عوراتهم وخباياهم، بأسلوب الداعية الخبير بخصائص المدعو واتجاهاته العقلية والثقافية، وميوله العاطفية)[1].

فهذا الإمام الخبير....الخ دليل واضح على هذا الأصل، الذي انطلق منه الإمام رحمه الله متأثرا بنفس ما أصَّل له القرآن الكريم من حوار، وهما (تأصيل القرآن الكريم والحوار المنهجي) لا يفترقان بفضل الله تعالى أبدا.

(١) مقارنة بين أسلوب الإمامين القرطبي والقرافي، د/ بيسان صالح حسن، ص١٢٨.

المطلب السادس: الانطلاق في الحوار من المبادئ المتفق عليها

يمثل الانطلاق من المبادئ المتفق عليها في الحوار الديني بين طرفين مختلفين نقطة أساسية، ومنهجا واضحا، وأصلا لا محيص عنه في نشدان حوارٍ ديني هادف، يمكن أن يتمخض عنه نتائج حقيقية صحيحة، تصب في صالح هذا الحوار بلوازمه وتقريراته بفضل الله تعالى.

ولا يعني ذلك إطلاقا: المداهنة، أو المواربة، أو التنازل عن الحق، أو التهاون في الحقائق العلمية، أو مساواة الدين الحق بغيره، فكل هذه الأمور محاذير لا يمكن الاقتراب منها البتة، لكن المقصود هو أخذ نقطة الاتفاق في جانب الدين الحق، وجعل ذلك سلاحا له لا عليه.

القرآن الكريم والتأصيل المنهجي للانطلاق في الحوار من المبادئ المتفق عليها:

وتأتي آيات القرآن الكريم لتقرر هذا الأصل المنهجي الماتع، لتؤكد على ضرورة الانطلاق في الحوار من المبادئ المتفق عليها، لتجمع بين المنهجية من جانب، وضرورة تعلق الحوار الديني بها من جانب آخر.

يقول تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٦٤]، ويقول جلَّتْ قدرته: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [المائدة: ٥٩]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾ العنكبوت: ٤٦].

دلالات التقرير. وشارات التأصيل:

تأتي تلك الآيات الماتعة في جوٍ من المحاورة الهادئة مع أهل الكتاب، وتجعل في ثناياها دلالات قاطعة على أن القرآن الكريم يركز على نقاط اتفاق تجمع بين الإسلام وأهل الكتاب، بما لا ينكرها أحد من كلا الطرفين، ومن ذلك:

أ- تأتي الآية الأولى والثانية مُصَدَّرَة بنداء لأهل الكتاب، وهو أول خطوات الحوار، فليس ثمة حوار دون الاقتراب والاستماع، وهو ما يعنيه هذا النداء، بما يقرر أن ذلك قد أتى في طيات الحوار الديني بلا شك.

ب- تحمل تلك الآيات كلمات بعينها تدل على تلك الموافقات التي قصدها القرآن الكريم في محاورته لأهل الكتاب، أمثال تلك الألفاظ الجليلة، وهي ﴿ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾، و ﴿ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ ﴾، و﴿ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ ﴾، وكلها قاطعة بهذا التوافق بلا ريب.

ج- لا ريب في أن القرآن الكريم حين يذكر ذلك أكثر من مرة، ويؤكد عليه في أكثر من موضع، ويشير إليه في أكثر من آية، فإن ذلك يؤكد على أنه أمر مقصود لم يأت اعتباطا هكذا، ولا بدون فائدة ترجَى من ورائه، ولا اعتبار لأثره العظيم في التقارب والتوافق بين الأطراف المتحاورة.

إن القرآن الكريم حينما يرسى هذا الأصل فإن ذلك دال على آثاره العظيمة في التقارب، فـ (الحديث عن نقاط الاتفاق وتقريرها يفتح آفاقا من التلاقي والقبول والإقبال، مما يقلل الجفوة، ويردم الهوّة، ويجعل فرص الوفاق والنجاح أفضل وأقرب، كما يجعل احتمالات التنازع أقل وأبعد)[١].

و يشهد بذلك ما جاء في بعض نصوص تفسيرية، والمعنى (يا مُحَمَّدُ[٢] اتْرُكْ ذَلِكَ الْمَنْهَجَ مِنَ الْكَلَامِ، وَاعْدِلْ إِلَى مَنْهَجٍ آخَرَ يَشْهَدُ كُلُّ عَقْلٍ سَلِيمٍ وَطَبْعٍ مُسْتَقِيمٍ أَنَّهُ كَلَامٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الإِنْصَافِ وترك الجدال، وقُلْ: يَا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ، أَيْ: هَلُمُّوا إِلَى كَلِمَةٍ فِيهَا إِنْصَافٌ مِنْ بَعْضِنَا لِبَعْضٍ، وَلَا مَيْلَ فِيهِ لِأَحَدٍ عَلَى صَاحِبِهِ، وَهِيَ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً، هَذَا هُوَ الْمُرَادُ مِنَ الْكَلَامِ)[٣].

هذا، وإذا كان النداء أولى درجات سُلَّم الحوار، وإذا كانت (الكلمة السواء) آتية في طيات هذا الحوار، فهو أوضح ما يكون من التقعيد لهذا الأصل، منطلقا من القرآن الكريم.

والحق يُقال أن كثيرا من الباحثين في مجال الحوار الديني وعلم مقارنة الأديان أشاروا إلى هذا الأصل، ونادوا به حقيقة، وجعلوه جزءا لا يتجزأ من الصحة في هذا الحوار؛ ولهذا كان لابد من وجود (قناعة مشتركة بين الطرفين (أي الإسلامي المسيحي)، خاصة بدور (القيم الروحية) في إسعاد البشرية، وبناء شخصية الإنسان المتوازنة القادرة على مواجهة ضغوط العصر المتزايدة، وبضرورة لقاء (المؤمنين) بهذه القيم الروحية؛ لإزالة سوء الفهم بين أتباع الدينين، وتعزيز تعارفهم، وصولا إلى تعاونهم على البر والتقوى، ومواجهة أخطار ماثلة تهدد البشرية)[٤].

---

(١) أصول الحوار وآدابه في الإسلام، د/ صالح بن عبد الله بن حميد، ص١٢.

(٢) مع احترامنا وتقديرنا للمفسرين جميعا، فهم علماء أجلاء، نحسبهم كذلك ولا نزكيهم على الله تعالى، والله حسيبهم، إلا أنه كان من الأولى، وحسن الأدب مع سيدنا رسول الله أن يقال: يا رسول الله... الخ، والقرآن الكريم يشهد بذلك، فلم يناد الله رسوله باسمه مجردا قط.

(٣) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، الإمام محمد بن فخر الدين الرازي، ج٨، ص٩٤، دار الفكر، القاهرة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م. الطبعة الرابعة.

(٤) الحوار الإسلامي المسيحي - الفرص والتحديات، د/ يوسف الحسن، ص٤، مطبوعات ومنشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي (الإمارات العربية المتحدة) ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م. الطبعة الأولى.

وهذه القيم الروحية التي تمثل نقطة التقاء بين الطرفين (الإسلامي المسيحي)، لا تشكل أي غضاضة عند كلا الطرفين، بل على العكس من ذلك تجعل هذا الحوار في جوٍ من التقارب والتفاهم بلا ريب.

ويمكن تنزيل ما للحوار الإسلامي المسيحي على بقية الحوارات الدينية الأخرى، ما دام قد التُزِم فيها بآداب وأصول الحوار الذي أقره القرآن الكريم وطبقته السنة النبوية المباركة.

ومن الذين اعتبروا هذا الأصل، وذكروه وجعلوه منطلقا لسلامة النية من قِبَل المسلمين، د/ عبدالجليل شلبي[١] رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث يقول: (ومن الجدير بالذكر أننا نحن المسلمين[٢] نحترم كلاً من مريم وعيسى (عليهما السلام)، ونقدرهما أعظم تقدير، وهذا يشكل جزءا من عقيدتنا، وكل كلمة تُشتم منها أدنى إساءة لهما تعتبر كفرا في ديننا، أي تجعلنا خارجين عن الإسلام)[٣].

ومن هذا كله يتبين بكل جلاء وضوح أن الانطلاق من نقطة الاتفاق بين أي طرفين متحاورين هو الأصل المنهجي الذي لا يمكن غض الطرف عنه بحال، وإلا: فكيف يكون ثمة حوار ديني وكلا الطرفين لا يتفقان على مبادئ مُسلَمة عند كليهما؟.

لكن هل يمكن إبراز حوار ديني قد انطبق عليها هذا الأصل؟.

والجواب بفضل الله تعالى أن كثيرا من المحاورات التي جرت بين أتباع أديان مختلفة كان فيها مثل هذا

---

(١) د/ عبد الجليل شلبي: (... – ١٤١٥ هـ =. .. –١٩٩٥م): عالم داعية من أهالي مصر. أتم حفظ القرءان الكريم في الثانية عشر من عمره، نال الشهادة العالمية من كلية اللغة العربية بالأزهر، وحصل على درجة الدكتوراه في الأديان المقارنة من جامعة لندن، تولى الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية. وتركزت معظم مؤلفاته البالغة ٢٢ كتابا على التصدي للمفتريات على الإسلام وقضايا الإستشراق والتنصير. من مؤلفاته: الشيوعية والشيوعيون – الاستشراق والمستشرقون. . وغيرها. انظر: إتمام الأعلام – ذيل لكتاب الأعلام لخير الدين الزركلي، د/ نزار أباظة – محمد رياض المالح، صـ١٤٥، دار صادر، بيروت ١٤١٠ هـ – ١٩٩٩م. الطبعة الأولى. و: تتمة الأعلام للزركلي، محمد خير رمضان يوسف، ج١، صـ٢٦٧، ٢٦٨، دار ابن حزم، بيروت ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م. الطبعة الثانية.

(٢) كان فضيلة العلامة د/ عبد الجليل شلبي رَحِمَهُ اللَّهُ موفقا إلى حد كبير لما جاء بكلمة (المسلمين) منصوبة على الاختصاص، مع أنه يمكن رفعها على الخبرية لـ (نحن)، أو اعتبار أن (نحن) ضمير فصل، وتكون الخبرية على أنها خبر (أن)، وكأنه يقول: ليس هناك أحد على الإطلاق يُقدِّر ويحترم المسيح وأمه – عليهما السلام – إلا المسلمون، وفيه تعريض ببقية المخالفين أجمعين.

(٣) الحوار بين الأديان: أسراره وخفاياه، د/ عبد الجليل شلبي صـ٤٩، دار الاعتصام، القاهرة، بدون تاريخ طبع.

الأصل المنهجي، ومن ذلك تلك المناظرة التي أوردها صاحب كتاب (عيون المناظرات) قائلا: (ناظر مسلم لطائفة من النصارى في مسألة النسخ، فادعت النصارى امتناع النسخ للشرائع والأحكام. فقال لهم المسلم: أتقرون أن أولاد آدم عليه السلام الذين خرجوا من ظهره كانوا يتزوجون إخوانهم؟ قالوا: نعم. وقصة (قابيل وهابيل) في ذلك شهيرة. قال: فما حكم إنجيليكم؟ قالوا: تحريم ذلك علينا. قال: هذا هو حقيقة النسخ من غير مزيد، فانقطعوا)[1].

ففي هذا الحوار الديني (بين طرفين مختلفين) يظهر هذا الأصل (الانطلاق من المبادئ المتفق عليها) من وجوه، وهي:

أ- أن المسلم لم يقطع لهم بحقيقة الوقوع للنسخ دفعة واحدة، بل قرَّب لهم ذلك حتى يفهموه، وكان عن طريق:

ب- ما ذكره المسلم من أن أولاد آدم عليه السلام كانوا يتزاوجون، وهم مقرون بذلك لا ينكرونه بحال.

ج- يمثل هذا التزاوج بين الإخوة الأوائل من أولاد سيدنا آدم عليه السلام مبادئ متفق عليها بين المسلمين والنصارى، لا يمكن لأحدهما إنكاره بحال، فمثَّل هذا نقطة التقاء جمعت الطرفين عليها.

د- مع أن الإفحام والانقطاع ظاهر للمسلم على النصارى في هذا الحوار، فإن أول الحوار – بذكر نقطة الالتقاء – جعلت جوا من التقارب، ويظهر هذا التقارب في كون المسلم ذكر شيئا هم مسلِّمون به من ناحية، واضطرهم إلى الاقرار به والاعتراف بأنهم مقرُّون بذلك من ناحية أخرى.

هـ – ويظهر أثر هذا الأصل المنهجي في هذا الحوار في حالة افتراض أن المسلم أنكر عليهم إنكارهم النسخ فقط، ولم يبيّن لهم ما هم به مُقِرُّون، ولم ينطلق من هذا في تقريرهم، ولا إقامة الحجة عليهم، وفي ظني أنهم لم يكونوا ينقطعون كما انقطعوا في وجود هذا الاتفاق، ثم الانطلاق منه في تقرير المراد.

هذا، وما تم ذِكره والإشارة إليه من كون هذا الأصل (الانطلاق في الحوار من المبادئ المتفق عليها) أمرا لا محيص عنه في الحوار الديني الصحيح الهادف، فإن هذا ما جاء إلا تأثرا بالقرآن الكريم في تناوله للقضايا العقدية في محاوراته لأهل الكتاب من ناحية، ثم انطلاقا من ذلك في التأصيل للحوار الديني من ناحية أخرى، فاتضح هذا التأثر وتلك العلاقة المنهجية الماثلة فيما بين القرآن الكريم والحوار الديني الهادف، فلله الحمد والمنة كلها.

---

(١) عيون المناظرات، أبو علي عمر السكوني، ص ٢٩٩، ٣٠٠.

المطلب السابع: تحرير محل النزاع حالة الحوار الديني

ثمة أمور وأصول ومبادئ بعينها إذا فُقِدَت حالة الحوار – عامة –، والديني منه – خاصة –، سيصبح غوغائية لا محالة، وسيؤدي إلى اضطراب معالم الصحة، وفقدان المنهج، وضياع المقاصد، وفوت النتائج الصحيحة ولابد، ومن ذلك: ضياع ما يسمى بـ (تحرير محل النزاع).

وثمة ترابط بين هذا الأصل المنهجي والذي قبله، ألا وهو (الانطلاق من المبادئ المتفق عليها بين الطرفين حالة الحوار)، فإن تحرير محل النزاع باستبعاد المتوافق عليه وإبقاء المختلف فيه والبحث فيه دون ما سواه، يُظهر هذا الترابط بين الأمرين بفضل الله تعالى.

يُعرف تحرير محل النزاع بأنه (أن يعمد الباحث في دراسة مسألة خلافية إلى إبراز محل الخلاف... باستبعاد غير محل الخلاف، وإبقاء مكان الخلاف)[1].

ومعنى هذا حصر المناقشة والحوار في المسألة المختلف فيها فقط واستبعاد غيرها؛ ضمانا لحفظ الوقت والجهد، وإبقاء للمودة، وتقريرا للمتفق فيه.

وفوق هذا فـ (إن تحرير محل النزاع، يؤدي إلى حسن الاقتناع ويمنع من تشعب الحديث وإطالة النقاش وتشعبه، كما أن الألفاظ متى تحددت معانيها والقضايا متى وضحت معالمها، سهل الوصول إلى الاتفاق بين المختلفين وظهور الرأي الذي تؤيده الحجة القويمة، وتطمئن إلى صحته العقول السليمة)[2].

---

(١) تحرير محل النزاع في المسائل الفقهية، د/ إسماعيل غازي أحمد، مجلة الشريعة الدراسات الاسلامية، الكويت، ص٤٣٦، ج (٢٧)، العدد (٩٠). شوال ١٤٣٣هـ – سبتمبر ٢٠١٢م. باختصار.

(٢) الحوار: أصوله وضوابطه وأثره في الدعوة الإسلامية أ/ يوسف فرحات، ص١٦٩. بحث مقدم لمؤتمر (الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر)، والمنعقد في كلية أصول الدين – الجامعة الإسلامية بغزة في الفترة (٧ – ٨ ربيع الأول ١٤٢٦هـ – ١٦ – ١٧ إبريل ٢٠٠٥.

القرآن الكريم وتحرير (محل النزاع):

وتأصيل هذا الأصل المنهجي العظيم كان ماثلا وبقوة في القرآن الكريم، فقد ذكره القرآن الكريم ودعا إليه، وألزم أهل الكتاب الحجة به، ودعا المسلمين إليه، وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

ففي هذه الآية الكريمة أعملَ القرآن الكريم منهج المجادلة بالتي هي أحسن أولا، ثم دعا أتباعه المؤمنين إلى دعوة أهل الكتاب إلى تحرير محل الاتفاق ثانيا، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦ ﴾.

والقرآن الكريم إذا كان قد دعا إلى تحرير محل الاتفاق، فإن تحرير محل النزاع أو الخلاف لا يقل عن ذلك حال الحوارات المقارنة، وكما هو واضح في النص الإلهي الكريم فإن مجيء تلك الآية قد جاء في المقارنة والمقابلة بين أهل الكتاب والمسلمين من جانب، ودعوتهم إلى الإسلام من جانب آخر.

وقد يكون تحرير (محل الاتفاق) الذي تكتنفه الآية، يحمل في الوقت ذاته تحرير (محل النزاع)، وهذا ما جاء في تفسير التحرير والتنوير، حيث يرى أن (هذا مما يسمى تحرير محل النزاع وتقريب شقة الخلاف وذلك تأصيل طرق الإلزام في المناظرة وهو أن يقال: قد اتفقنا على كذا وكذا فلنحتجّ على ما عدا ذلك، فإن ما أُمِروا بقوله هنا مما اتفق عليه الفريقان، فينبغي أن يكون هو السبيل إلى الوفاق)[1].

وقوله في هذا النص: (وذلك تأصيل طرق الإلزام في المناظرة) عين ما يقصده الباحث ويرنوا إليه؛ إنه تأصيل هذه القاعدة من خلال القرآن الكريم؛ إذ المناظرة صورة من صور الحوار بلا أدنى ريب.

وعلى كلٍ فإن كلا من الأمرين يوصل للآخر ولابد، فإن تحرير محل الوفاق يؤدي إلى تقليل النزاع، والأخير إذا تم حصره وتحريره لم يبق إلا الاتفاق ولابد.

ولو علِم المتحاوران والمتناقشان ما لهذا الأصل من أثر عظيم على عملية الحوار برمتها، ما حادوا عنه إطلاقا، فـ (كثيرا ما يختلف المتجادلان، ويشتد بينهما الخلاف؛ لأن موضع النزاع لم يُعلم بالتعيين. وكان

(١) تفسير التحرير والتنوير، الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، ج٢١، ص٧، الدار التونسية للنشر، تونس ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤م. بدون رقم طبع.

سقراط[1] يقول: إذا عُرف موضع النزاع بطل كل خلاف؛ وذلك لأن كِلا المتناظرين المختلفين في طلب الحقيقة يقع نظره على ما لا يقع عليه نظر الآخر، ويبني عليه حكمه على ما وقع عليه نظره، فكأنه في الحقيقة لم يتلاق مع خصمه في موضوع)[2].

والذي يظهر للباحث أن تلك النصوص قاطبة يصح تنزيلها على كل: خلاف، وحوار، ونقاش، ومجادلة، ومناظرة، لكن يبقى الحوار الديني أشد مطلبا لهذا الأصل بلا ريب.

والذي يبدوا للباحث أن الحوار الديني أشد مطلبا لهذا الأصل (تحرير محل النزاع) من أربعة وجوه، وهي:

أ- إن الحوار الديني اسم شامل جامع لكل ما قد يدخله من مناقشة، وجدال، ومناظرة، فالحوار الديني قد يشوبه مثل هذه الأنواع من الحوار، وهل المناقشة والمجادلة والمناظرة في الأصل إلا حوار؟.

ب- إن الحوار الديني بالذات يختلف عن المقارنة الدينية المكتوبة؛ إذ المكتوب لا يحتدم فيه الخلاف، ولا يتردد فيه الكلام، ولا يتشعب فيه الحديث كما في الحوار الديني.

ج- الحوار الديني غالبا ما يكون بين طرفين مختلفين، كلٌ منهما يمثل وجهة نظر تخالف الأخرى، فلو تُرك الحوار هكذا بلا تحرير لمحل النزاع واستبعاد ما سواه، فقد يتطرق الأمر إلى اللجاجة والخصومة والمنازعة ولابد.

د- إن تحرير محل النزاع وارتباطه أكثر بالحوار الديني يحصر الخلاف ويجعله في دائرة ضيقة جدا، مما يعمل على إظهار ما سواه، وهو مواطن الاتفاق والتقارب بين الطرفين المختلفين.

وإذا كان من أمثلة على المطلوب؛ إقامة للحجة، وتقريرا للمراد، وتدليلا على المقصود، فينبغي هنا الإشارة إلى هذا الحوار الديني الذي دار بين العلامة أبي عبيدة الخزرجي[3] وأحد اليهود، حيث (قال له

---

(١) سقراط: (٤٦٩ – ٣٩٩ ق م): فيلسوف يوناني، من أثينا. أبوه نحَّات وأمه قابلة، لم يترك أثرا مكتوبا، لكن سجَّل حياته وتعاليمه تلميذه (أفلاطون) في (محاوراته). انظر: الموسوعة العربية الميسرة، مجموعة باحثين، ج٤، ص١٨٥٤.

(٢) تاريخ الجدل، الإمام محمد أبو زهرة، ص٨، دار الفكر العربي، القاهرة ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣م.

(٣) الخزرجي (٥١٩ – ٥٨٢ هـ = ١١٢٥ – ١١٨٦ م): أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة محمد بن أحمد: أبو جعفر الخزرجي القرطبي، نزيل بجاية وغرناطة. ينتسب إلى سعد بن عبادة صاحب رسول الله ﷺ . سمع وروى وصنف كتاب الأحكام، وسماه: آفاق الشموس وأعلاق النفوس –نفس الصبح في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه – حسن المرتفق في بيان ما عليه المتفق – مقامع الصلبان، وغيرها كثير. . ينظر: الوافي بالوفيات، صلاح الدين بن خليل بن أيبك الصفدي، ج٧، ص٤٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م.

المسلم: في التوراة التي بأيديكم إلى اليوم إن الله قال لموسى: إني أقيم لبني اسرائيل من إخوتهم نبيا مثلك، أجعل كلامي على فيه، فمن عصاه انتقمت منه[١]. قال له اليهودي: ذلك يوشع بن نون[٢]. فقال المسلم: هذا محال من وجوه: أحدها: أنه قال عندك في آخر التوراة: انه لا يقوم في بني اسرائيل نبي مثل موسى[٣]. الثاني: أنه قال: من إخوتهم. وإخوة بني اسرائيل إما العرب وإما الروم[٤]، فإن العرب بنو إسماعيل، والروم بنو العيص[٥]، وهؤلاء إخوة بني إسرائيل. فأما الروم فلم يقم منهم نبي سوى أيوب، وكان قبل موسى فلا يجوز أن يكون هو الذي بشرت به التوراة، فلم يبق الا العرب وهم بنو اسماعيل وهم إخوة بني إسرائيل. وقد قال الله في التوراة – حين ذكر اسماعيل جد العرب –: (إنه يضع فسطاطه في وسط بلاد اخوته)[٦]، وهم بنو اسرائيل وهي الشام التي (هي) مظهر ملكه، كما تقدم من قوله: وملكه بالشام...)[٧].

الطبعة الأولى. و: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، ابن فرحون المالكي، ص١١٩. دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦م. الطبعة الأولى. و: الأعلام: خير الدين الزركلي، ج١، ص١٥٠. و: معجم المؤلفين – تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، ج١، ص١٧٠. مؤسسة الرسالة، دمشق، بدون تاريخ طبع.

(١) يُنظَر: سفر التثنية، الإصحاح ١٨، الآية ١٥ – ١٨ .

(٢) يوشع بن نون: اسم عبري معناه (يهوه خلاص)، واسمه في الأصل (هوشع)، ثم دعاه موسى (يشوع). وهو خليفة موسى وسبط افرايم. ولد في مصر، كان خادما أولاً لموسى ثم جاسوساً لسبطه. بعد وفاة موسى أمر الشعب بعبور نهر الأردن. وهناك سفر في العهد القديم باسمه. ينظر: قاموس الكتاب المقدس، مجموعة مؤلفين، ص١٠٦٨: ١٠٧١.

(٣) ينظر: سفر التثنية، الإصحاح ٣٤، الآية ١٠ .

(٤) تنسب الروم إلى (روملس) باني رومية. ويرى آخرون أن الروم تنسب إلى العيص بن يعقوب، فإنه قد ولد ابنا اسمه (روم). ينظر: جمهرة أنساب العرب، الإمام أبو محمد علي بن أحمد سعيد بن حزم، تحقيق: أ/ عبد السلام هارون، ص٥١١، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ، الطبعة الخامسة. و: الأنساب، أبو المنذر سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري، تحقيق: د/ محمد إحسان النص، ج١، ص١٣٦. بدون اسم الدار والبلد ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٦م. الطبعة الرابعة.

(٥) العيص: ويسمى أيضا (عيصاب)، وهو ابن لإسحاق عليه السلام، وقد سكن بنوه جبال الشراة، التي بين الشام والحجاز، وقد بادوا جميعا، فسبحان من له الدوام. ينظر: جمهرة أنساب العرب، أبو محمد بن حزم، ص٥١١.

(٦) نسبه محقق كتاب (هداية الحيارى) إلى سفر التكوين ١٦/ ١٢، وبالرجوع إليه وبالبحث عنه لم أجده إطلاقا.

(٧) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، الإمام محمد ابن قيم الجوزية، ص٣٨٥، وقد عزاها المحقق إلى

هذه بعض مقتطفات من هذا الحوار الطويل، الذي اتخذ شكل المناظرة، إذ ما تم ذِكره والإشارة إليه كاف – بفضل الله تعالى – في التدليل على المطلوب.

ويظهر هذا الأصل (تحرير محل النزاع) في هذا الحوار من وجوه، وهي:

أ- إن أبا عبيدة رَحِمَهُ اللَّهُ قد حصر الخلاف بينه وبين اليهودي في مسألة واحدة بعينها، وهي (تقرير نبوة سيدنا رسول الله ﷺ)، ولم يكتف بهذا، بل ضمَّ إلى تلك النقطة شيئا آخر حتى تتم صورة (تحرير محل النزاع)، وهي:

ب- كون أبي عبيدة رَحِمَهُ اللَّهُ لم يتطرق إلى مسألة أخرى غير تقرير النبوة، ومن ثمَّ راح يقيم عليها الأدلة من الكتاب والسنة والتوراة جميعا.

ج- يُلاحَظ أيضا أن العلامة أبا عبيدة رَحِمَهُ اللَّهُ قد حرّر محل النزاع، وهي مسألة النبوة لسيدنا رسول الله ﷺ، ثم جعل التفريعات المنبثقة عن ذلك دائرة في هذا الأصل، وهو تحرير محل النزاع، وأعني بتلك التفريعات ما ذكره من أمر بني إسماعيل وبني العيص وما يترتب على ذلك.

د- وكما حصر العلامة أبو عبيدة نقطة الخلاف بينه وبين اليهودي في مسألة النبوة وإثباتها لسيدنا رسول الله ﷺ، وحصر التفريعات المبنية عليها أيضا، يلاحظ كذلك أنه قد حصر النتيجة في هذه النقطة وبناها على سابقتها، وهي قوله مستنتجا: (فلم يبق الا العرب وهم بنو اسماعيل وهم إخوة بني إسرائيل).

من هذا كله يتضح بجلاء – بفضل الله تعالى – كيف أن (تحرير محل النزاع) أمرٌ لابد منه في الحوار الديني؛ حتى لا يحتدم الحوار إلى خلاف وشقاق وتضيع معه معالم الصحة والمنهجية، وفي الوقت ذاته فإن هذا الأصل كما هو أصل منهجي واضح في القرآن الكريم بفضل الله تعالى –، فهو أيضا أصلٌ منهجي لا يمكن غض الطرف عنه بحال في الحوار الديني بين أكثر من طرف، فاتضحت العلاقة، وظهرت المقاربة. فلله الحمد والمنة وعظيم الشكر والعرفان.

العلامة أبي عبيدة الخزرجي في كتابه بين الإسلام والمسيحية، تحقيق: د/ محمد شامة. ص٢٦٠: ٢٦٣.

المبحث الثاني: بيان مخرجات الحوار الديني من خلال آيات القرآن الكريم

تأتي نتائج الحوار – الصحيحة والسليمة – كدليل وبينة تطبيقية على سلامة القواعد التي انبثقت عنها تلك النتائج، وكدليل أيضا على سلامة المنهجية التي التُزمَت في تلك القواعد البنائية لهذا العلم (الحوار)، بما أصَله القرآن الكريم وقعَد له، وفي الوقت نفسه تأتي كدليل وبينة على أن القرآن الكريم كما أسس لتلك القواعد ودعا إليها، فإنه أيضا ذكر نتائج تلك القواعد الآتية عبر الحوار الديني، وهذا ما يمكن تسميته بـ (سلامة المُخرجات)؛ إذ هي التي تخرج عن تلك القواعد التي بُنيت عليها بما يبرهن على صحتها وسلامتها.

وقبل البدء ببيان تلك النخرجات تجدر الإشارة أن هذه النتائج أو المخرجات تأتي على نوعين، وهما:

الأول: إما أن القرآن الكريم قد ذكرها صراحة ونص عليها، وجعلها نتاجا لهذا الحوار الديني.

الثاني: وإما أن تأتي تلميحا، أو استنباطا عقليا لازما عن تلك القواعد السابقة.

وهذا كله على النحو التالي بإذن الله تعالى....

المطلب الأول: إزالة الشبهات

تأتي إزالة الشبهات في تعلقها بالحوار الديني كنتيجة ومُخرَجًا قويا من مُخرجات ونتائج هذا الحوار؛ إذ لا أنفع للعقل ولا أشد تأثيرا فيما علق به من شبهات، من حوار يزيل ذلك، ويقوَّمه، ويدفع به على الطريق الصحيح دون تلك الشبهات العالقة به.

تُعرَف الشبهة بأنها (خفاء الأمر والإشكال في العمل مثل الأمور المشتبهة..... أو هي: ما اشتبه الدليل وليست به، كأدلة المبتدعين)[1].

ومعنى ذلك أن الشبهة أمر ما عَلِق بأذهان المتمسكين بها، ظنوها دليلا أو حقيقة، وهي في الحقيقة ليست بذلك، بل هي محض شبهة واهية لا أساس لها من الصحة تماما.

وهنا يأتي دور الحوار والمناقشة لتصحيح هذا الخطأ الذي وقعوا فيه، وبيان الصحيح منها، وهذه النتيجة لا يمكن غض الطرف عنها أو التقليل منها بحال؛ إذ إن تلك الشبهات العالقة بالذهن قد تؤدي إلى فهم قاصر أو معوّج أو غير صحيح، بل ربما تكون عقبة كؤودا صادة عن دين الله تعالى الحق، فكان لابد من حوار منضبط يهدف إلى تصحيح الخطأ وتقويم المعوج.

القرآن الكريم وإزالة الشبهات:

لا ريب في أن أعظم وأفضل كتاب تناول شبهات المعارضين، ورد عليها، وأبطلها، وبيَن زيفها وعوارها، هو القرآن الكريم. وكيف لا؟ والله تعالى هو الذي خلق الكون كله، وهو أعلم بما خلق، ومن جملة ما خلق: المعارضون والمخالفون الذين يطلقون تلك الشبهات.

وإذا كان القرآن الكريم فيه الكثير من الآيات التي تَرُدُّ على شبهات المناوئين والمخالفين، وإذا كان حصرها جميعا لا يسعفه المقام، فسأكتفي بذكر موضع واحد من القرآن الكريم، كدليل وبيّنة على ذلك.

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الزخرف: ١٩ – ٢١].

---

(١) موسوعة كشاف مصطلحات الفنون و العلوم، محمد علي التهانوي، تحقيق: د/ علي دحروج، ج١، ص١٠٠٥، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ١٤١٤هـ – ١٩٩٦م. الطبعة الأولى. باختصار.

تأتي تلك الآيات الكريمات لتذكر شبهة تعلق بها المشركون، وإذ بهم هكذا، فإنه أورد شبهتم، وأبطل حجتهم فيما تمسكوا به، وخلص في نهاية الحوار إلى إزالة تلك الشبهة، وبيان الصحيح الذي يجب أن يكون متعينا.

وصورة تلك الشبهة وقوامها في زعمهم أن الملائكة إناث، أي (اعتقدوا فيهم ذلك)[١]، ولا شك أن اعتقادهم هذا يمثل شبهة واهية تعلقوا بها؛ إذ لو فهموا الأمر على حقيقته ما نطقوا بذلك، وما أصبح شبهة أصلا.

وقد قامت شبهتهم تلك على عدة أمور، وهي:

(أحدها: جعْلُهم لله ولدا، تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علوا كبيرا.

الثاني: دعواهم أنه اصطفى البنات على البنين، فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا.

الثالث: عبادتهم لهم مع ذلك كله، بلا دليل ولا برهان، ولا إذن من الله عز وجل، بل بمجرد الآراء والأهواء، والتقليد للأسلاف والكبراء والآباء، والخبط في الجاهلية الجهلاء.

الرابع: احتجاجهم بتقريرهم على ذلك قَدَراً (والحجة إنما تكون بالشرع)، وقد جهلوا في هذا الاحتجاج جهلا كبيرا، فإنه تعالى قد أنكر ذلك عليهم أشد الإنكار)[٢].

وإذا كانت هذه هي الشبهة ومقوماتها في ظنهم، فإن الله تعالى قد أزالها بعدة أمور أيضا، وهي:

الأول: قوله تعالى: ﴿ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ﴾ وما داموا لم يشهدوا ولم يروا شيئا، فاعتقداهم كاذب، وشبهتم واهية.

الثاني: قوله تعالى: ﴿ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ وفي ذلك (تهديد شديد، ووعيد أكيد)[٣].

الثالث: قوله تعالى: ﴿ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ﴾، أي (كيف حكموا بأنهم إناث من غير دليل)[٤].

الرابع: قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ ﴾، و (هذا معادلٌ لقوله: ﴿ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ﴾، والمعنى: أَحَضَروا خلقهم؟ أم آتيناهم كتابا من قبله؟ أي: من قبل القرآن بما ادعوه، فهم به متمسكون يعملون بما

(١) تفسير القرآن العظيم، الإمام إسماعيل بن كثير، ج٧، ص٢٢٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم، نفس المصدر ونفس الصفحة.

(٣) نفسه.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، ج١٩، ص٢١.

فيه!)[1].

هذا، ولما لم يشهدوا خلق الملائكة، ولم يكن معهم كتاب ولا علم ولا دليل، فقد بطلت الشبهة، وأزالها القرآن الكريم.

والملاحظ أن الآيات السابقة تحمل أسلوب الحوار، ومقومات هذا الحوار هنا ما يلي:

أ- الاستفهام الآتي في تلك الآيات، والاستفهام لا يوجَّه إلا لمن يستمع له، فهو حينئذ مُحَاوَر(اسم مفعول).

ب- تقرير مبدأ السؤال لهم يوم القيامة يشهد بذلك، فإنهم لن يُسألوا إلا بعد إقامة الحجة عليهم، وإيصال الحجة لهم سيكون عن طريق الحوار.

ج- والآيات أيضا تحمل أسلوب الخطاب وتوجيه الكلام للمخَاطَب، وهذا أيضا تقرير لذلك الحوار.

من هذا كله يتبيّن – بكل وضوح وجلاء – أن القرآن الكريم قد ذكر نتيجة الحوار الهادف، وهي (إزالة الشبهات التي تعلق بها المعاندون)، ولله الحمد والمنة.

ولأثر الحوار الديني في إزالة الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام والمتربصون به، كان هذا من مقاصد الحوار الديني مع بقية الأديان الأخرى، إذ إن من مقاصد الحوار الديني (تصحيح صورة الأديان والفرق، وإزالة الشبهات، وتصحيح الأخطاء حولها، وتكوين المعرفة السليمة بها من خلال الحوار)[2].

ولا مرية في تلك المقاصد إذا تحققت ووقعت بالفعل، صارت نتيجة لهذا الحوار، فإن المقصد بعد تحقق وقوعه لم يعد مقصداً بالنسبة لما كان قبل الفعل، بل أصبح نتيجة ومُخرجا له كما هو معلوم.

والناظر في تاريخ الإسلام مع حواراته مع الأديان الأخرى، سيجد أن أكثر مَن حاورهم الإسلام هم أهل الكتاب، وهذا كثير جدا في القرآن العظيم، وكذا سنة النبي الكريم ﷺ، وكان من مقاصد ذلك هو إزالة شبهاتهم التي يُلقون بها على طريق الإسلام الصحيح، ولهذا فإن (الحوار معهم للرد على شبهاتهم وطعنهم في الإسلام؛ وذلك لإظهار الإسلام كما هو من كمال وجمال، فيظهر الحق ويدحض الباطل)[3].

---

(١) نفس المصدر، ص٢٣.

(٢) الحوار: منهجا وثقافة، أ. د/ محمد خليفة حسن، ص٣١، مطبوعات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة قطر، الدوحة ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨. الطبعة الأولى.

(٣) الحوار مع أهل الكتاب- أسسه مناهجه من القرآن والسنة، خالد عبد الله القاسم، ص١١٥، مطبوعات دار المسلم، الرياض ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م. الطبعة الأولى.

وإذا كان لابد من دليل – يتمثل في صورة حوار ديني – للتدليل وتقرير ذلك، فإنه قد (ذُكر أن المأمون[١] جمع بين العتابي[٢] وابن فروة النصراني[٣]، وقال لهما: تكلما وأوجزا. فقال العتابي لابن فروة: ما تقول في عيسى المسيح؟ قال: أقول إنه من الله. قال: صدقت، ولكن (مِنْ) تقع على أربع جهات لا خامس لها: مِن كالبعض من الكل على سبيل التجزئة، أو كالولد من الوالد على سبيل التناسل، أو كالخلِّ من الخمر على سبيل الاستحالة، أو كالصنعة من الصانع على سبيل الخلق من الخالق، أم عندك شيء تذكره غير ذلك؟ قال ابن فروة: لابد أن يكون هذه الوجوه، فما أنت مجيبني إن تقلدت مقالة منها. قال العتابي: إن قلتَ على سبيل التجزئة كفرت، وإن قلتَ على سبيل التناسل كفرت، وإن قلتَ على سبيل الاستحالة كفرت، وإن قلت على سبيل الفعل كالصنعة من الصانع والمخلوق من الخالق فقد أصبت.

قال ابن فروة: فما تركت لي قولا أقوله. وانقطع)[٤].

وهذا الحوار الديني قاطع بدلالة المراد والقطع بالمطلوب (وهو إزالة الشبهات عن طريق الحوار) من خلال ما يلي:

أ- يتضح من الحوار الإزالة الحقيقية لشبهة تعلقت في ذهن النصراني، وهي كون المسيح من الله تعالى، وفحوى الشبهة هنا أن (مِن) لا تفيد – في ظنه – إلا معنى واحدا، وهو كون المسيح من الله تعالى على اعتقاد النصارى المعلوم.

ب- ويأتي بيان المعاني الكاملة لـ (مِن) من العتابي رَحِمَهُ اللَّهُ ليزيل شبهة تعلق بها النصراني، وهي أن مِن

---

(١) المأمون (١٧٠ – ٢١٨ هـ = ٧٨٦ – ٨٣٣ م): عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر: أبو العباس. سابع الخلفاء العباسيين في العراق، وأحد أعاظم الملوك في سيرته وعلمه وسعة ملكه. ولي الخلافة بعد خلع أخيه الأمين سنة ١٩٨ هـ. توفي في (بذندون) ودفن في طرسوس. ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج٦، ص٨. و: شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، ج٣، ص٨٢. و: الأعلام، الزركلي، ج٤، ص١٤٢.

(٢) العتابي: (... – ٢٢٠ هـ =. .. – ٨٣٥م): كلثوم بن عمرو بن أيوب التغلبي، أبو عمرو كاتب، حسن الترسل، وشاعر مجيد. من أهل الشام، وسكن بغداد فمدح هارون الرشيد وآخرين. ينظر: وفيات الأعيان، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، ج٤، ص١٢٢ وما بعدها. دار صادر، بيروت، بدون تاريخ. و: فوات الوفيات، محمد بن شاكر الكتبي، ج٣، ص٢١٩، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ. و: الأعلام، خير الدين الزركلي، ج٥، ص٢٣١.

(٣) لم أعثر له على ترجمة.

(٤) عيون المناظرات، أبو علي عمر السكوني، ص٢١٣.

لها معان كثيرة لابد من الإقرار بواحدة منها.

ج- ومما يؤكد أن الحوار الديني الماثل بين المسلم (العتابي) والنصراني (ابن فروة) كان له أثره في إزالة الشبهة الماثلة في ذهنه (أي النصراني) هو انقطاعه وعدم رده على ما قاله العتابي، ولو لم تكن الشبهة قد أزيلت من ذهنه لظل يعاند ويجادل ويناقش، وهو ما لم يكن البتة.

وهذه النقطة الثالثة هي عين ما يقصده الباحث ويرنو إلى إثباته، فإن هذا الانقطاع شاهد بتلك النتيجة وهذا الأثر لهذا الحوار الديني الواقع بين الطرفين، وطالما وقع وحدث بالفعل، فهو نتيجة ومُخرجٌ من مخرجات الحوار الديني، فلله الحمد والمنة.

المطلب الثاني: إعمال العقول وإلغاء التقليد

لا نزاع بين المشتغلين بكافة العلوم على تعددها، وتنوع مشاربها، واختلاف مقاصدها، في أن الحوار المنضبط والقائم على الأصول المنهجية الصحيحة، يحرر العقل من تبعات التقليد المذموم، ويجعلها تعمل عملها وتفسح له آفاقا رحبة من التفكير المنضبط أيضا بتلك المنهجية المنشودة.

القرآن الكريم والدعوة إلى إعمال العقول:

والناظر في القرآن الكريم يجد أن ثمة آيات كثيرة جدا تدعو العقل إلى: التفكر، التذكر، التعقل، والتدبر، التأمل، وكلها تعمل على إعمال العقول وتحريرها من التقليد والجمود.

ومن تلك الآيات قوله تعالى – على لسان نبيه ومصطفاه: ﴿ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦ ﴾ [يونس: ١٦]، وقوله جلَّت قدرته – على لسان سيدنا هود –: ﴿ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٥١ ﴾ [هود: ٥١]، وقوله سبحانه –: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٨٠ ﴾ [المؤمنون: ٨٠]، وقوله عز وجل – على لسان سيدنا رسول الله –: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ٥٠ ﴾ [الأنعام: ٥٠].

دلالات ومضامين:

وبينما يدعوا القرآن الكريم إلى إعمال العقول، وتحررها من التقليد والجمود، تأتي تلك الآيات حاملة عدة مضامين ودلالات غاية في تقرير المراد، وهو كون تحرير العقول وإعمالها يُعَدُ نتيجة ومخرجا بعد الدعوة إلى إعمال تلك العقول.

ومن تلك الدلالات ما يلي:

ا– يلاحظ في جميع تلك الآيات أنها تأتي حاملة أسلوب الخطاب وتوجيه الكلام، وهو صورة من صور الحوار.

ب– ومما يؤكد هذا أن تلك الآيات – في بعضها – تحمل حواراً خالصاً بين الرسول وقومه، كما في سورة يونس وهود.

ج– ودعوة القرآن إلى إعمال العقول إذا تحققت واتَّبعها الناس، تصبح بلا شك نتيجة ومُخرَجا من

مخرجات تلك الدعوة إلى إعمال العقول.

د- وما قيل في التعقل يقال أيضا في التفكر والتدبر والتأمل....الخ.

هـ - وحينا تُساق الدعوة إلى إعمال العقل، فهذه دعوة سيقت لغرض ومقصد، فإذ تحقق المقصد والغرض (وهو إعمال العقول)، يصبح نتيجة ومُخرجاً بلا شك.

ولمَّا كان الحوار وسيلة فعالة في هذا المضمار، فقد تم اتخاذه من قَبِل الدعوة الإسلامية كوسيلة عقلية ترتفع بطاقات العقل وتنأى به عن كل شوائب تعوق مسيرته، فقد (اعتُمِدَ الحوار كوسيلة عقلية من وسائل الدعوة الإسلامية؛ استنادا إلى عقلانية الإسلام كدين من ناحية، وضرورة الاقتناع العقلي بالإسلام وعقائده من جانب غير المسلم، وتطبيقا لقاعدة ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] التي تنص على عدم إكراه الآخرين على الدخول في الدين، وضرورة توفر الاقتناع العقلي بالإسلام)[١].

وانطلاقا من هذا النص فإن الحوار هنا له فائدتان، تصبان قطعا في بوتقة الحوار الديني، وهما: كون الحوار وسيلة عقلية، ومعنى ذلك أنه يدعو العقل إلى التفكر والتدبر، ويحرره في الوقت نفسه من تبعات التقليد وبراثن التعصب ومستنقع الجمود، والأمر الثاني أنه يعرض عقائد الإسلام دونما أي إكراه، وهذه النقطة هي عين الالتصاق بين الحوارالديني والانطلاق من علم مقارنة الأديان بلا شك، في دعوة الغير إلى الإسلام الحنيف.

ورحم الله الإمام الجويني[٢] رحمة واسعة، إذ أشار إلى ضرورة هذا الحوار ليُستخرَج من العقل، كل الآفات التي تعطل ملكاته، إذ يرى أن (أكثر العمايات في العلوم إنما جاءت من أخذ الحجج مسلمة، من غير امتحان الفكر، وتدقيق النظر في تصحيح مقدماتها)[٣].

---

(١) الحوار منهجا وثقافة، أ. د/ محمد خليفة حسن، ص٢٠.

(٢) الإمام الجويني (٤١٩ – ٤٧٨ هـ = ١٠٢٨ – ١٠٨٥ م) هو: أبو المعالي عبد الملك بن الشيخ أبي محمد عبد الله بن أبي يعقوب، الجويني، الفقيه الشافعي، المعروف بإمام الحرمين. أعلم المتأخرين من أصحاب الإمام الشافعي على الإطلاق، المجمع على إمامته، المتفق على غزارة مادته وتفننه في العلوم من الأصول والفروع والآداب. من مؤلفاته (الإرشاد – الشامل في أصول الدين – العقيدة النظامية – غياث الأمم – البرهان في أصول الفقه، وغيرها كثير). يُنظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج٣، صـ١٦٧: ١٧٠. و: شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، ج٥، صـ٣٣٨: ٣٤٢.

(٣) شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، الإمام أبو المعالي عبدالملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، ص٣٠، مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٨ هـ- ١٩٧٨م. الطبعة الأولى.

وامتحان الفكر وتدقيق النظر المشار إليهما في النص، قد يكون واقعا من الإنسان ذاته، أعني أن الإنسان هو الذي يفكر ويدقق من تلقاء نفسه، وقد تكون الأخرى، وهي محاورة الغير له، فيدفعه ذلك إلى هذا الامتحان وذلك التدقيق.

وبالرجوع إلى بعض الحوارات الدينية للتدليل على هذا الادعاء من الباحث، فقد كان هناك حوار ديني بين مسلم ويهودي، في قضية النسخ، وهذا نص الحوار (قال اليهودي: إذا كان بالرجل علة من الحرارة كان على الطبيب أن يداويه بالبرودات، ولا يجوز أن يسقيه شيئا من الأدوية الحارة، فإنْ فعله كان فيه هلاكه. كذلك إذا كان الخلق على شريعة من الشرائع، وكان صلاحهم في ذلك إبقاؤهم على تلك الشريعة، وكان تنقلهم عنها إفسادا لهم، والله تعالى لا يفعله.

قال الأستاذ: فقلت له: هذا كما قلت إذا كان الطبيب ناقصا في الطب، لم يجز له إلا ما قلتَ، أما إذا كان طبيبا يدعي الحذقة والزيادة على ما عند الأطباء، قال: وقد عرفتم أن هذا المريض محرور، ولا يصح عندك إلا بالبرودات، وأنا أعالجه بالأدوية الحارة ويبرأ كما يبرأ بالبرودات، كان له الفضل، ويجب الإعراض عن كل طبيب لا يساويه. فتحيَّر السائل، وقطع الكلام)[1].

ففي هذا الحوار يتضح جليا كم هو مدى إعمال العقول، وتحريك النظر نحو المطلوب، والإقرار به عن كل ما سواه.

ويتضح إعمال العقول هنا في هذا الحوار من خلال ما يلي:

أ- يتضح إعمال العقل وتحريك النظر وطلب التفكر من خلال ما فعله المسلم، حيث جارى الخصم في دعواه، ومجارة الخصم إلى الوصول به أمر مقطوع به في إلزام الخصم، ويتضح ذلك من حيث إن المسلم جاراه في دعواه وهي أن الطبيب يفعل كذا وكذا... الخ، فسلم له بذلك، حتى يصل إلى النقطة الثانية، وهي..

ب- أن الطبيب هنا يصح دعواه فيه لو كان كل الأطباء واحدا، ومستوى علمهم وحذقهم واحدا أيضا، فلما كان هناك الطبيب الأعلم والأمهر كان الرجوع إليه قطعا ولابد، عن كل الأطباء الذين لا يمكنهم أن يفعلوا فعله.

ج- ودلالة مجارة الخصم في إعمال العقل والتفكر أمر مقرر في مجال الحوار والجدال والمناظرات، إذ لو قطع بالمطلوب مباشرة دون مجاراة الخصم لربما لم يسلم الخصم له بالمراد؛ لأن المجاراة تجر إلى إعمال

(١) عيون المناظرات، أبو علي عمر السكوني، ص٢٦٥. و ٢٦٦.

العقل في المساواة بين الأمرين، ثم ترك أحدهما والقطع بالآخر ولابد.

د- وأوضح ما يكون في إعمال العقل هنا هو ما فعله المسلم من خلال القياس، ولاشك أن القياس عمل عقلي من الدرجة الأولى، ويتضح ذلك في أنه قاس أمر الطبيب الحاذق الأعلم على ما ذكره الخصم، ثم جعل مقدمة قياسه نتيجة للقطع بالمراد، وهو أن البشر ليسوا كالله تعالى في علمه بالأصلح لخلقه، وإذا كانوا جميعا كذلك فيجب الرجوع والإقرار لله تعالى بما يريده هو سبحانه وتعالى.

هـ- وحينما يتحير السائل ويقطع الكلام مع المسلم، فهذا أيضا من أكبر الأدلة على أثر الحوار الديني في إعمال العقل وتحريك النظر؛ إذ إنه لمَّا أعمل الخصم عقله، وفَهِم مراد المسلم، تحير في الجواب وقطع الحوار، ولولم يكن ثمة أثر لهذا الحوار الديني ما سكت الخصم وانقطع.

هذا، وحينما ينطلق المتحاوران – على اختلاف دينهما – من الحوار كقاعدة عقلية، تحرر العقل وتعمل على إلغاء معوقاته، ثم يتحير أحدهما وينقطع عن الجواب، أو يقر بالمطلوب في صورة السكوت، فإن هذا يُعد نتيجة ومُخرجا من مخرجات الحوار الديني، تماما كما جاء في القرآن الكريم وأصَله، بفضل الله تعالى.

المطلب الثالث: إقامة الحجة

من النتائج القوية والمخرجات السليمة للحوار الديني المنضبط: إقامة الحجة على المخالف، وهذا أمر مرتبط ارتباطا وثيقا بالحوار على عمومه، والحوار الديني على وجه الخصوص؛ إذ ربما لم يفهم الخصم أمر ما، أو فَهِمَه على غير وجهه الصحيح، أو ربما كانت هناك معوقات لإقامة الحجة لموانع متعددة، فيأتي الحوار ليصحح المغلوط ويقيم الحجة، ولا يبقي لذي عذر تعللا.

القرآن الكريم وإقامة الحجة:

ومَنْ قرأ القرآن وتدبره وجد أن (إقامة الحجة) على المخالفين، أمر بدهي لا يحتاج إلى مزيد إيضاح، بل يمكن القول: إن القرآن كله يحمل إقامة الحجة على جميع الخلق.

ومن الحوارات التي ذكرها القرآن الكريم، وتحمل في الوقت ذاته إقامة الحجة على المخالف، ما جاء في حوار الخليل إبراهيم عليه السلام مع النمرود، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

والملاحَظ في تلك الآية الكريم أنها اتخذت أسلوب الحوار، بين الخليل والنمرود، تماما كما هو واضح بين القائل والمقول له، وبينما يذكر القرآن الكريم تلك الآية، ويتضح فيها الحوار الديني، ويقيم الخليل عليه السلام الحجةَ على المخالف، تأتي النتيجة الحتمية النهائية، تلك التي جاءت مُخْرَجَاً من مخرجات هذا الحوار، وهو الواضح من قوله تعالى: ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾ وهو عين إقامة الحجة؛ إذ إنه لما أقام الخليل عليه الحجةَ بُهت وسكت ولم يرد جوابا، ولو لم تكن الحجة ما قامت عليه ما بُهت الذي كفر إطلاقا؛ ولذلك لما (علم عجزه وانقطاعه، وأنه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام بُهت، أي: أُخرس فلم يتكلم، وقامت عليه الحجة)[1].

وهذا النص التفسيري هو عين ما يرنو الباحث إلى إثباته – بفضل الله تعالى –، وهو قوله: (وقامت عليه الحجة)، وهو نتيجة من نتائج هذا الحوار المشتمل على أدلة أدت إلى ذلك.

ولا شك أن من غايات الحوار الديني إقامة الحجة على المخالف، وقطع التعذر لديه، وإزالة أي عوائق قد

(١) تفسير القرآن العظيم، الإمام إسماعيل بن كثر، ج١، ص٦٨٦.

تمنعه من قبول الحق: حتى تقوم عليه تلك الحجة، ولهذا كان من غايات الحوار مع المخالفين لدين الإسلام (دعوتهم إلى الإسلام وإقامة الحجة عليهم؛ ببيان محاسن الإسلام وفضائله، وهذا أسمى الأهداف وأجلها، وهو ما دعت إليه الرسل جميعا)[١].

وما قيل في المقاصد والغايات الأخرى يقال هنا سواء بسواء، من حيث إن الأهداف والغايات والمقاصد إذا تحققت تصبح نتيجة لهذا المقصد بلا شك.

ونتائج هذا النوع من الحوار لا تقف عند إقامة الحجة فقط، وإن كان هذا هو أبلغ المقاصد، لكن ثمة غايات أخرى تندرج تحت هذا، ومنها أن من(كان عالما بالحق فمناظرته المحمودة أن يبيّن لغيره الحجة التي تهديه، إن كان مسترشدا طالبا للحق إذا تبين له، أو يقطعه ويكف عدوانه إن كان معاندا غير متبع للحق إذا تبين له، ويوقفه ويُسلكه ويبعثه على النظر في أدلة الحق إن كان يظن أنه حق وقصده الحق)[٢].

ولا ريب في أن المناظرة أسلوب من أساليب الحوار، وحينما يأتي ليحقق تلك الغايات المذكورة بالنص عاليه، يصبح الحوار ذا أثر قوي في تحقيق النتائج وتلك المخرجات.

وأثر الحوار في تحقيق إقامة الحجة على المخالف يأتي من عدة وجوه، ومنها:

أ- أن الحوار يعني تردد الكلام، والمناقشة بين طرفين، وهو ما يستلزم بيان ما قد يخفى على أحدهما، فتقوم الحجة عليه من هذا الوجه.

ب- أن الحجة قد تكون معلومة لدى أحد المتحاورين، لكنه لا يفهم جميع ما يتعلق بها، وهنا يأتي التحاور والمناقشة وتردد الكلام ليعمل على إفهام الخصم، (فقد تبلغ المكلف الحجة ويعلم بها، لكنه لا يفهمها فهما تقوم به الحجة عليه، كأن لا يفهم ما خوطب به، أو كانت المسألة من دقائق العلم وخفاياه...، أو قد يكون عنده معارض يمنعه من فهم مراد الشارع، كالشُبه التي ترد على بعض الناس، أو الأدلة المتعارضة أو نحو ذلك، فهذا ينبغي أن يفهم الحجة، وأن يزال عنه ما يمنعه من فهمها وإدراكها)[٣].

ولو ظل على حاله دون إفهام ما قامت عليه الحجة إطلاقا، أو على الأقل عدم قيامها من الوجه الذي لم يفهمه.

ج- أن الحوار يشتمل على المناظرة والجدال. .الخ، وهذه أمور مظنة وقوع الاستدلال فيها قوي، وإقامة

---

(١) الحوار مع أهل الكتاب – أسسه ومناهجه من القرآن والسنة، خالد عبد الله القاسم، ص١١٢.

(٢) درء تعارض العقل والنقل، الإمام أحمد بن تيمية، ج٧، ص١٦٧.

(٣) منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد، د/ عثمان علي حسن، ج٢، ص٨٣٤. دار إشبيليا للنشر والطباعة، المملكة العربية السعودية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م. الطبعة الأولى.

الأدلة وفهمها من أبلغ إقامة الحجج على المخالف.

ورجوعا إلى بعض الحوارات التي تأخذ أسلوب المناظرة، كتدليل على تقرير المطلوب، فـ (قدم البصرة يهودي فناظر بها أناسا فقطعهم، فتقدم إليه شاب من المسلمين، قال: فوجدت سبيله في المناظرة أن يقرر المناظرين على نبوءة موسى عليه السلام، فإذا أقروا جحد نبوة نبينا محمد ﷺ ويقول: نحن على ما اتفقنا عليه إلى أن نتفق على غيره فنقر به. . فدنوت منه فقلت: ما تقول؟ فقال: أخبرني أليس موسى نبيا؟.

فقلت: إن الذي سألتني عنه ينقسم إلى قسمين. أحدهما: أني أقر بنبوءة موسى الذي أخبر بنبوءة محمد نبينا ﷺ، وأمر باتباعه وبشَّر به، فإن سألتني عنه أُقرَّ به، وإن سألتني عن موسى آخر لا يقر بنبوءة سيدنا محمد ﷺ ولا بشَّر به، فلست أعرفه ولا أقر به. فانقطع اليهودي)[1].

وهذا الحوار الديني قاطع بدلالات واضحة بمدى أثره في إقامة الحجة على المخالف، وانتزاع الإقرار منه بصحة هذا الدين العظيم، وهذا الإقرار إما صريح عن طريق النطق بذلك وإعلانه، وإما ضمني غير صريح بالإفحام والانقطاع والسكوت وعدم القدرة على الرد والمجاراة. ونفس هذا الإقرار بقسميه تكون الحجة على المخالف، ولا يعذر إلى الله تعالى.

وقيام الحجة هنا في الحوار جاءت بأكثر من صورة، وهي:

الأولى: محاكمة الخصم اليهودي إلى التوارة التي يؤمن بها، تلك التي تبشر بنبينا سيدنا رسول الله ﷺ، وما أعظم أن تقوم الحجة على المخالف من نفس ما يؤمن به ويعتقد.

الثانية: محاصرة الخصم بين أمرين، واضطراره إلى واحدة منهما، ولا يمكن الجمع بينهما بحال، وهما: إما الإقرار بالتوراة، وهنا لابد من الإيمان بما بشرت به، وهو نبينا العظيم ﷺ، وإما عدم الإيمان بهذا النبي الكريم ﷺ، وهذا يعني تكذيب التوراة ومَن نزلت عليه التوراة، عليه وعلى نبينا أفضل صلاة وأتم تسليم.

الثالثة: عجز الخصم على الرد، وانقطاعه وسكوته، وهذا من أبلغ الدلالة على قيام الحجة عليه، ولو لم يكن قد فَهِمَ المراد ما انقطع، فلما فَهِمَ، سكت وانقطع، وقامت عليه الحجة بفضل الله تعالى.

الرابعة: وقيام الحجة هنا على المخالف (اليهودي) تتمثل في تقرير نبوة سيدنا رسول الله ﷺ، وعدم استطاعته على دفع ذلك البتة.

هذا، وسكوت اليهودي وانقطاعه، ومن ثَمَّ إقامة الحجة عليه، كل هذا قد حدث من خلال الحوار الديني، فأصبح نتيجة من نتائجه، ومُخرَجا من مُخرجاته بفضل الله تعالى وحده.

---

(١) عيون المنظارات، أبو علي عمر السكوني، ص٢٢٠.

المطلب الرابع: بيان الحق وتقريره

من أقوى المخرجات التي يخرجها الحوار الديني المنضبط بأصوله وقيوده الراشدة، هو ما ينتج عنه من بيان الحق كاملا لمن يطلب ذلك؛ إذ إن تجلية الحق وبيانه وإيضاحه كل ذلك قد يترتب على حوار هادئ هادف، يُقرُ صاحبه بهذا الحق ولا ينكره على الإطلاق.

وآيات القرآن الكريم – لا سيما آية سورة آل عمران – تقرر هذا الحوار لتصل إلى بيان الحق الذي ينبغي أن يُتَفَقَ عليه بين أهل الإسلام وأهل الكتاب، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٤]، وتلك الآية من أعظم الأدلة على أن الحوار المنضبط يصل به المتحاوران إلى تجلية الحق وبيانه واضحا، ثم الإقرار به والاتفاق عليه والدعوة إليه.

وبيان الحق الذي تحمله تلك الآية يتمثل في (توحيد الله تعالى في العبودية – عدم اتخاذ البعض أربابا من دون الله تعالى – عدم الإشراك في العبادة – الإقرار بالإسلام لله رب العالمين).

وهذه الأمور التي يتجلى فيها الحق وبيانه، تأتي نتيجة ومخْرَجاً من مخرجات الحوار الديني، كما صوَرَه القرآن الكريم في تلك الآية، إذ إنها اشتملت على أمرين متلازمين (الحوار الموجَّه لأهل الكتاب – بيان الحق وتقريره).

وهذا كان له أثره في نتائج الحوار الديني في غير القرآن الكريم.

ولأثر الحوار – أي حوار ديني بما يشتمل على جدال أو مناظرة... الخ – في تقرير الحق وبيانه، كان (هذا العلم من أرفع العلوم قدرا وأعظمها شأنا؛ لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال، وتميز الحق من المحال، ولولا صحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة، ولا اتضحت محجة....)[1].

ولا مرية في أن الجدال نوع من الحوار، لكن بأسلوب خاص يختلف عن الحوار الهادئ، ثم إذا أمعن القارئ سيجد كم هو الربط بين الحوار (الجدال) و(تميز الحق من المحال) كما هو في النص السابق.

وإذا تقرر هذا، فإن من أعظم مقاصد هذا العلم (الحوار)، هو أن (يحقق الحق ويكشف عن الباطل،

(١) المنهاج في ترتيب الحِجاج، الإمام أبو الوليد الباجي، ص٨. دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٧م. الطبعة الثانية.

ويهدف إلى الرشد)[1].

وتأكيدا لما سبق تقريره، فإن المقصد إذا تحقق، صار تحقيقه نتيجة لما كان متعلقا به من قبل.

وإذا كان ثمة دليل على أن الحوار الديني من نتائجه الباهرة بيان الحق وتقريره، فيأتي هذا من الحوار الذي دار بين ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ وبين أحبار اليهود، إذ يقول: (إنهم بتكذيبهم محمداً ﷺ وقد شتمتم الله أعظم شتيمة، فعجب من ذلك، وقال: مثلك يقول هذا الكلام ! فقلت له: اسمع الآن تقريره، إذا قلتم إن محمداً ملك ظالم قهر الناس بسيفه، وليس برسول من عند الله، وقد أقام ثلاثا وعشرين سنة يدعي أنه رسول الله أرسله إلى الخلق كافة، ويقول: أمرني الله بكذا ونهاني عن كذا وأوحي إليَّ كذا، ولم يكن من ذلك شيء، ويقول إنه أباح لي سبي ذراري مَن كذبني وخالفني ونساءهم، وغنيمة أموالهم، وقتل رجالهم، ولم يكن من ذلك شيء، وهو يدأب في تغيير الأنبياء ومعاداة أممهم، ونسخ شرائعهم، فلا يخلو: إما أن تقولوا: إن الله سبحانه وتعالى كان يطلع على ذلك ويشاهده ويعلمه، أو تقولوا: إنه خفى عنه ولم يعلم به، فإن قلتم لم يعلم به، نسبتموه إلى أقبح الجهل، وكان مَن علم ذلك أعلم منه ! وإن قلتم: بل كان كله بعلمه ومشاهدته واطلاعه عليه، فلا يخلو: إما أن يكون قادرا على تغييره، والأخذ على يديه، ومنعه من ذلك، أو لا، فإن لم يكن قادرا، فقد نسبتموه إلى أقبح العجز المنافي للربوبية، وإن كان قادرا – وهو مع ذلك يعزه وينصره ويوده، ويعليه ويعلي كلمته، ويجيب دعاءه، ويمكنه من أعدائه، ويظهر على يديه من أنواع المعجزات والكرامات ما يزيد على الألف، ولا يقصده أحد بسوء إلا ظفر به، ولا يدعوه بدعوة إلا استجابها له، فهذا من أعظم الظلم والسفه الذي لا تليق نسبته إلى آحاد العقلاء فضلا عن رب الأرض والسماء، فكيف وهو يشهد له بإقراره على دعوته وتأييده بكلامه، وهذه عندكم شهادة زور وكذب؟!

فلما سمع ذلك قال: معاذ الله أن يفعل الله هذا بكاذب مفتر، بل هو نبي صادق من اتَّبعه أفلح وصدق.

قلت: فما لك لا تدخل في دينه؟

قال: إنما بعث للأميين الذين لا كتاب لهم، وأما نحن فعندنا كتاب نتبعه.

قلت له: غُلبت كل الغلب، فإنه قد علم الخاص والعام أنه أخبر أنه رسول الله إلى جميع الخلق، وأن مَن لم يتبعه فهو كافر من أهل الجحيم، وقاتل اليهود والنصارى وهم أهل كتاب، فإذا صحت رسالته لزم تصديقه

(١) الكافية في الجدل، الإمام أبو المعالي عبدالملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، تحقيق: أ. د/ فوقية حسين محمود، ص٢٣، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩م.

في كل ما أخبر به. فأمسك ولم يجر جوابا)[1].

وهذا الحوار القوي بين ابن القيم وبين اليهودي، قد اشتمل على عدة أمور عملت على ظهور الحق وبيانه وإعلائه بفضل الله تعالى، وتقريره على النحو التالي بفضل الله تعالى:

أ- أجرى ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ الحوار ببراعة وذكاء واضحين؛ حيث حاكم اليهودي إلى عقله ومنطقه، واستنطق عقله باستحالة وقوع الظلم من الله تعالى، ومادام الأمر كذلك وقد ظهر النبي ﷺ على جميع الخلائق، ومادام أن الله لا يظلم بنصرة كاذب، فقد ثبت صدق سيدنا رسول الله ﷺ، وهذا وجه من وجوه بيان الحقيقة أو الحق، وهو إثبات نبوة ورسالة سيدنا رسول الله ﷺ.

ب- ثم كان الوجه الثاني من الإقرار بالحق وبيانه ووضوحه، والنطق به من قبل اليهودي، وهو أنه قد سلَّمَ بنبوة رسول الله ﷺ، لكنه إقرار ناقص، حيث التسليم له ﷺ بالرسالة، لكن للعرب فقط، وهذا أيضا جزء عظيم في بيان الحق، حيث...

ج- انتزع منه ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ الإقرار بالرسالة للعرب فقط – على مذهب اليهودي –، ثم جعل هذا مقدمة للإقرار بعموم الرسالة لجميع الخلق؛ حيث إن من كان صادقا كان من لوازم ذلك...

د- تصديقه في كل ما أخبر عنه، وهو ﷺ قد أخبر أنه رسول إلى الناس كافة، فلزم الإيمان به بناء على صدقه وتصديقه، وهذا وجه آخر من بيان الحق (رسالة النبي)، أبانه ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ من خلال الحوار مع اليهودي.

هـ- ثم يأتي وجه آخر من لزوم تصديق النبي ﷺ وهو وجوب عدم التفريق بين المتماثلات، وبيان ذلك: أنكم إذا أقررتم أيها اليهود بصدق النبي في أمر تقرون به (وهو رسالة النبي للعرب على ظنكم)، فحينئذ لا ينبغي لكم أبدا التفريق بين هذا وبين كل الأمور الأخرى التي أخبر عنها ونطق بها ﷺ.

و- ثم يأتي الوجه الذي بعد ذلك، وهو إقامة الأدلة على ذلك الحق وتلك الحقيقة، فليست إذن ادعاءً بلا دليل، فقد أقام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ الأدلة المتنوعة والصحيحة على ذلك الحق، وكانت تلك الأدلة ما بين أدلة تاريخية، وأخرى عقلية، وثمة ثالثة واقعية لا يمكن إنكارها بحال من الأحوال، وتلك الأدلة من أعظم الشواهد على ذلك الحق وإظهاره.

ز- وكان آخر تلك الوجوه المبيّنة للحق والمظهرة له والمؤيدة إياه والمؤكدة عليه، هو الإفحام الذي

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، الإمام محمد ابن أبي بكر بن القيم، ص٣٨٤، ٣٨٥.

تعرض له اليهودي فأسكته ذلك وأخرصه، ولم يجر ردا ولا جوابا بعدها، وهذا أيضا من أوضح الأدلة على أثر الحوار الديني في إظهار الحق وتبيانه؛ إذ لو لم يظهر الحق لذلك اليهودي ما سكت وما أُفحَم، وربما ظل يناقش ويعاند، فلما اتضح له الحق وظهر له بالدليل، سكت ولم يرد جوابا.

وهنا يتضح أن بيان الحق وإظهاره من نتائج ومُخرجات الحوار الديني؛ إذ إنه قد جاء بعد الحوار وليس قبله، فعُلِمَ يقينا أنه من نتائجه ومخرجاته، فلله الحمد والمنة.

المطلب الخامس: تصحيح المفاهيم

إذا كان الغبش الفكري متعلقا بالعقل في المقام الأول؛ لأسباب كثيرة لا يمكن بسطها في هذا المقام، فحينئذ يبقى الحوار الهادف والمتزن والموجَّه لهذا العقل، هو إحدى أهم وأنجع السبل لتصحيح هذا الغبش وإزالته إن أمكن.

ولا ريب في أن القرآن الكريم قد اتخذ من الحوار قاعدة عقلية تواصيلة في هذا المضمار، فصحَّحَ خطأً، وبيَّن أمراً، وأزال غبشاً، ووجَّه نظراً، وأعمل عقلاً، وأشغل فكراً، وقوَّمَ معوَجَّاً، وأصَّلا قاعدةً، وقرَّر سبلاً....الخ، وكل هذا بفضل الله تعالى، ثم عن طريق الحوار الهادف.

ومن الآيات الكريمة التي تقرر ذلك وتوصِّل إياه، قوله تعالى: ﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٥] ففي هذه الآية أطلق أهل الكتاب دعوى، قائمة على فهم خاطئ، ونظر سقيم، وفكر معوج، قوامها أن طريق الهداية مرتبط بطريقهم هم، وأن مَن أراد تلك الهداية فعليه أن يتبعهم، بأن يكون يهوديا أو نصرانيا، وَوَجْهُ فهمهم الخاطئ هنا أنهم يرون (أن من لم يكن يهوديا لا يراه اليهود مهتديا، ومن لم يكن نصرانيا لا يراه النصارى مهتديا، أي: نفوا الهدى عن متبع ملة إبراهيم. وهذا غاية غرورهم)[1]. فصحَّحَ القرآن الكريم هذا الفهم الخاطئ، ورد عليهم فيه، وقوَّمه لديهم، وبيَّن الفهم الصحيح الذي ينبغي أن يكون، فقال: ﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٥] (أي: لا نريد ما دعوتم إليه من اليهودية والنصرانية، بل نتبع ﴿ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ ﴾ أي: مستقيما)[2].

فقوله تعالى: ﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ هو عين التصحيح للمفاهيم الخاطئة، التي وقع فيها اليهود والنصارى.

وانطلاقا من القرآن الذي أرسى تلك القاعدة الحوارية الماتعة، فقد استخدمه الكثير من علماء الإسلام ومفكروه، وساعد هذا كثيرا في تصحيح مفاهيم خاطئة كانت – للأسف – منتشرة وشائعة، ليست على المستوى الإقليمي فقط بل على المستوى العالمي، فقد (ساعد الحوار على استجابة العديد من الدول الغربية وغيرها لتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام والدعوة الإسلامية، والعمل على مراجعة المناهج التعليمية التي

(١) تفسير التحرير والتنوير، الإمام محمد الطاهر بن عاشور، ج١، ص٧٣٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم، الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، ج١، ص٤٤٨.

تشوّه الإسلام وحضارته، وتحض على الكراهية والعداء للإسلام والمسلمين)[١].

إذاً، ومن خلال هذا يتقرر أن الحوار له أثر عظيم في تصحيح المفاهيم عن الإسلام، في كل ما يتعلق به: من تصورات، ورؤى، ومناهج... الخ، مما يدل على أهميته وشموليته بفضل الله تعالى.

ويحضر الباحث هنا – كدليل على أن تصحيح المفاهيم يأتي من مُخرجات الحوار الديني– كما هو في القرآن الكريم – هذا الحوار الذي دار بين مسلم ويهودي، حول إثبات عموم نبوة النبي ﷺ لجميع الخلق، وكان مما جاء في هذا الحوار (فقال له اليهودي: فعندكم في القرآن ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ [الأعراف: ٨٥] ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ [الأعراف: ٦٥] ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾[الأعراف: ٧٣]. والعرب تقول: يا أخا بني تميم للواحد منهم، فهكذا قوله: أقيم لبني إسرائيل من إخوتهم.

قال المسلم: الفرق بين الموضعين ظاهر فإنه من المحال أن يقال: إن بني إسرائيل إخوة بني إسرائيل، وبني تميم إخوة بني تميم، وبني هاشم إخوة بني هاشم، هذا لا يعقل في لغة أمة من الأمم، بخلاف قولك: زيد أخو بني تميم، وهو أخو عاد، وصالح أخو ثمود أي واحد منهم، فهو أخوهم في النسب، ولو قيل: عاد أخو عاد، وثمود أخو ثمود، ومدين أخو مدين لكان نقصا، وكان نظير قولك بنو إسرائيل إخوة بني إسرائيل، فاعتبار أحد الموضعين بالآخر خطأ صريح)[٢].

وهذا الحوار الديني – الماثل بين المسلم واليهودي – له دلالات واضحة في تقرير أن تصحيح المفاهيم الخاطئة – من مخرجات الحوار الهادف، ومن هذه الدلالات ما يلي:

أ- صورة الفهم الخاطئ لدى اليهودي: ويتضح هذا في ثلاثة أمور:

الأول: فَهْمٌ خاطئ في تصور محلية رسالة سيدنا رسول الله ﷺ، ونفي العمومية عنها.

الثاني: فَهْمٌ خاطئ في قياس الإخوَّة المذكورة في الكتاب المقدس مما ذُكر آنفا، على قياس الإخوة المذكورة في القرآن – مما جاء في الآيات السابقة.

الثالث: انتفاء جامع العلة في القياس الذي أقامه اليهودي؛ حيث إن المعلوم في القياس الصحيح صحة العلة الجامعة بين الأمرين[٣].

---

(١) الحوار: منهجا وثقافة، أ. د/ محمد خليفة حسن، ص١٩٢.

(٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم، ص٣٨٦. وهي تكملة المناظرة والحوار الذي ذُكرَ آنفا، بين أبي عبيدة الخزرجي وأحد علماء اليهود.

(٣) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، ج٥، ص٣٦، ١٠٧، ١١١.

الرابع: فهم خاطئ بناء على الاستدلال الخاطئ، الناتج عن القياس الخاطئ أيضا.

الخامس: ومما يؤكد خطأ الفهم لدى اليهودي ما قاله المسلم له في آخر الحوار نصا: (فاعتبار أحد الموضعين بالآخر خطأ صريح).

وبناء على هذه الأمور مجتمعة أصبح الفهم خاطئا لدى اليهودي، مما استدعى أن ينبرى المسلم للدفاع والتصحيح، وهو ما يظهر في النقطة الثانية إن شاء الله تعالى.

ب- ويأتي تقرير الفهم الصحيح وتصحيح الفهم الخاطئ من المسلم في أربعة أمور، وهي:

الأول: بيان المراد من الإخوة في كل المواضع التي ذكرها اليهودي.

الثاني: بيان فساد القياس والاستدلال الذي أجراه اليهودي.

الثالث: فساد اللغة والذوق حين ينسب الأخ إلى نفسه، فلا يقال مثلا: (ثمود أخو ثمود. .الخ).

الرابع: بيان ضرورة التفريق بين المتفرقات، وليس الجمع بينهما، حيث إن مدلول مصطلح الإخوة هنا ليس كهناك.

هذا، وحينما يُصحَّح الفهم الخطأ، ويقوم بدلا منه الفهم الصحيح، ويتقرر هذا الفهم وتقوم عليه الأدلة، فحينئذ يصبح هذا كله أثرا ونتيجة من نتائج الحوار الديني ومخرجاته، خاصة وأن هذا لم يأت في مكاتبة مثلا أو ما شابه هذا، وإنما جاء عن طريق حوار دار بين طرفين، تماما كما جاء في القرآن الكريم وسبق به، فثبت ما رام الباحث إلى إثباته، ولله الحمد كله والمنة كلها.

المطلب السادس: قوة اليقين

لا نزاع في أن تصريفات مادة (أيقن) قد ذُكرت في القرآن الكريم في أكثر من مرة، وجاءت في مواضع مختلفة متنوعة، فتارة جاءت بالمصدر، وتارة جاءت بالفعل... الخ، مما يدل على أهميته ومدى اهتمام القرآن الكريم به.

ومن أمعن في كتاب الله تعالى، سيجد أنه يدعو إلى الإيقان، والعمل به، وركون القلب إليه، ومن أجل هذا ساق الأدلة المتنوعة لتحقيق ذلك واتصاف القلب به.

وثمة آيات في القرآن الكريم قد ذكرت عدة حوارات، وجاءت تلك الحوارات حاملة (اليقين)، ذلك الذي يؤدي إلى الطمأنينة وانشراح الصدر وراحة البال.

ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

فهذه الآية الكريمة حملت عدة دلائل، هي غاية في تقرير أن القرآن الكريم ذكر أسلوب الحوار، مقرونا بنتيجته وهو (اليقين)، وهذه الدلائل هي:

الأولى: أن هذا حوار واضح بلا شك، بين الحق – سبحانه وتعالى – والخليل عليه السلام، حوار قد اشتمل على جميع أركانه واتضحت فيه جميع قواعده.

الثانية: أن هذا الحوار فيه طلب من الخليل عليه السلام أن يريه الله تعالى كيفية الإحياء للموتى، وكان هذا الطلب لمقصد ما.

الثالثة: أن الخليل عليه السلام لم يكن شاكا ولا مترددا، وحاشاه ذلك، وإنما (أراد أن يترقى من علم اليقين إلى عين اليقين؛ فقوله: ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ ﴾ طلب مشاهدة الكيفية)[1]، ومعنى ذلك أن (اليقين) مقصود لذاته، مطلوب بعينه لدى الخليل عليه السلام.

الرابعة: وطلب الطمأنينة هنا من الخليل عليه السلام؛ جاءت لتحقيق هذا اليقين، فقوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن

(١) الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، ج٤، ص٣١٢.

لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ أي: (ليسكن ويهدأ باليقين الذي يستيقنه)(١).

الخامسة: وإذا حدث ما طلبه إبراهيم الخليل عليه السلام، وأحيا الله له الموتى، فقد حدث المطلوب (اليقين والطمأنينة)، وأصبح نتيجة ومُخرجَاً من مخرجات الأدلة والحوار.

وإذا كان القرآن الكريم قد أصَّل لتلك النتيجة، وجعلها من مخرجات ونتائج المشيئة الإلهية في صورة الحوار الماثل في تلك الايات، وجاء أيُّ حوار ديني مشتمل على ذلك، ومقتبس من القرآن الكريم، فقد تحققَ سبق القرآن الكريم في ذلك بفضل الله تعالى.

وأثر الحوار الديني في تحقيق هذه النتيجة (قوة اليقين لدى المؤمنين)، يأتي بعد كونه مقصدا لهذا الحوار، فمن مقاصد الحوار مع أهل الكتاب وغيرهم (الحوار معهم لتثبيت المؤمنين، فإن المحاور في كثير من الأحيان يحاور أهل الكتاب لا لغرض هدايتهم وإيمانهم، أو بيان الحق لهم بدرجة أولى؛ وإنما لإظهار علو الإسلام وقوة حجته وضعف حجج خصومه للمسلمين، فيزدادوا إيمانا ويقينا)(٢).

وهذا لا ريب من أقوى المقاصد وأجلها، وأرفعها وأعظمها؛ إذ هو معاملةٌ للخصم من جنس ما يرنو إليه، فإن من أقوى أهداف ومقاصد الخصم هو زعزعة المسلم وتشكيكه في دينه(٣)، وحين يكون الحوار سبيلا لتثبيت المسلم وتقوية يقينه فهذا بلا ريب من أعظم مقاصد هذا الحوار.

ثم إن ثمة فائدة أخرى للحوار في تحقيق هذا اليقين، وهو بيان ما قد يخفى على الشخص مما يضر بهذا اليقين، فقد يخفى على الشخص أمرٌ يقلل من يقينه، فيأتي الحوار لبيان هذا الخفي، وزيادة هذا اليقين، فمن فوائده (الانتقال بالمسائل العلمية من مقام الظن إلى مقام القطع واليقين؛ لأن الظنية والقطعية من الأمور النسبية الإضافية، فما يكون مظنونا عند شخص ما، قد يكون مقطوعا به عند آخر، وبالمناظرة قد يستفيد صاحب الظن: القطع واليقين)(٤).

ولا شك في أن المناظرة صورة من صور الحوار وأسلوب من أساليبه، وبهذا يتقرر ما لدى الحوار من

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ج٢، ص١٤٧، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م. الطبعة الأولى.

(٢) الحوار مع أهل الكتاب – أسسه ومناهجه من القرآن والسنة، خالد عبد الله القاسم، ص١١٦.

(٣) يُنظر في ذلك: الغارة على العالم الإسلامي، ا. ل شاتليه، ترجمة: مساعد اليافي، محب الدين الخطيب، ص١٦: ٢٦، منشورات العصر الحديث، القاهرة ١٣٥٠ هـ. الطبعة الأولى.

(٤) ينظر: منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد، د/ عثمان علي حسن، ج١، ص٤٢.

أثر فعال في تحقيق مقامات اليقين، والقطع بالمظنون على ظنه، واليقين على يقينه، وإخراج المظنون إلى درجة العلم اليقيني.

لكن، كيف يكون اليقين مخرجا ونتيجة من مخرجات ونتائج الحوار الديني؟.

في ظني أن ذلك راجع إلى ما يلي:

أ- إن الحوار يشتمل على أكثر من صورة، كالجدال والمناظرة، وهذه صور مُسلَّم فيها بكونها قائمة على الأدلة بمختلف أنواعها، ولا مرية في أن الأدلة من أقوى السبل لتحقيق اليقين، بل وزيادته وقوته.

ب- إن الحوار يعني المناقشة وتردد الكلام وبيان ما لدى المتحاورين، وقد يتعلق الخصم بشبهات واهية وأدلة فاسدة وحجج منكرة، فيأتي عليها المسلم المحاور بما يفندها في حواره ويقطع بفسادها ويبين عوارها، فيزداد المسلم المحاور والمستمع يقينا بفضل الله تعالى.

ج- إن الحوار الديني أوسع مساحة من علم مقارنة الأديان، من حيث المستهدف والمستفيد، وأعني بذلك أن علم مقارنة الأديان قد يكون مختصا بأهل العلم وطلابه وخواص المشتغلين به، أما الحوار – وما اشتمل عليه من مناظرة وجدال – قد يحضره جماهير العوام من الطرفين، فتكون فائدته للجميع أكثر تحقيقاً، وألمس واقعاً، وأشد تأثيراً، وما مناظرات العلامة رحمت الله الهندي وأحمد ديدات عنا ببعيد.

وتدليلا على أثر الحوار الديني في تحقيق اليقين وقوته، فقد أورد صاحب (عيون المناظرات) هذا الحوار في صورة مناظرة، حيث قول: (ذُكر أن نصرانيا ورد قرطبة[1] في أيام علماءنا بها، وطلب المناظرة، فاتفق أن اجتمع به ابن الطلاع[2]، فقال له النصراني: ما تقول في عيسى؟ فقال له ابن الطلاع: لعلك تريد المبشر بمحمد ﷺ؟ فانقطع النصراني؛ لأنه رأى إن أنكر له هذا الوصف كذَّب إنجيله وكفر بعيسى على الحقيقة؛ لأنه

(١) قرطبة: مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها، وكانت سريرا لملكها وقصبتها، وبها كانت ملوك بني أمية. ومعدن الفضلاء ومنبع الفضلاء من ذلك الصقع. ينسب إليها جماعة من العلماء المشهورين. ينظر: معجم البلدان، ابن ياقوت الحموي، ج٤، ص٣٢٤. وما بعدها. و: دراسات في تاريخ المدن العربية والإسلامية، د/ عبد الجبار ناجي، ص٤١١ وما بعدها، شركة المطبوعات، لبنان ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م. الطبعة الأولى.

(٢) ابن الطلاع: (٤٠٤ – ٤٩٧ هـ = ١٠١٤ – ١١٠٤ م) محمد بن الفرج القرطبي المالكي أبو عبد الله، ابن الطلاع، مفتي الأندلس ومحدثها في عصره. من أهل قرطبة. كان عالما، رحل الناس إليه من الأقطار لسماع (الموطأ) و (المدونة). من كتبه: أحكام النبي ﷺ الشروط. ينظر: الديباج المذهب، ابن فرحون المالكي، ص٣٧٠، ص٣٧١. و: شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، ج٥، ص٤١٨. و: الأعلام، الزركلي، ج٦، ص٣٢٨. و: معجم المؤلفين، رضا كحالة، ج٣، ص٥٨٥.

إنما أقرَّ بعيسى آخر، وإن أقر لزمه الدخول في الإسلام؛ لما وجب عليه عند إيمانه بعيسى من الإيمان بما بشَّر به، وإلا فليس بمؤمن)[1]

وظهور اليقين هنا وقوته وتأكيده من هذا الحوار يأتي على وجوه:

الأول: التأكيد الجازم بنبوة سيدنا رسول الله ﷺ من الإنجيل؛ عن طريق التبشير به.

الثاني: انقطاع النصراني عن الجواب، فيه أيضا زيادة يقين لدى المسلم الموحد؛ إذ لو كان غير ذلك لأجاب النصراني على ابن الطلاع وهو ما لم يحدث.

الثالث: محاصرة النصراني بين أمرين، وهما: إما تكذيب الإنجيل، وإما الإقرار بنبوة المختار ﷺ، وهو ما يؤكد عين اليقين، إذ لا ثالث يتهرب إليه المخالف، مما يؤكد حقيقة النبوة وصدق البشرى ودلالة اليقين بفضل الله تعالى.

الرابع: الإقرار بالنبوة – في حالة حدوثه – يلزمه الدخول في الإسلام؛ إذ ليس ثمة دين أخر يلزمه الدخول فيه، بما يحمل في طياته إقرارا واضحا بفساد جميع الأديان إلا دين الإسلام الحنيف، وهو ما يحمل ويُحدث يقينا أيضا في قلب المسلم؛ إذ لا دين صحيح إلا الإسلام العظيم، فلله الحمد رب العالمين.

الخامس: أن الانقطاع من النصراني جاء في نهاية الحوار، بما يعني كون اليقين نتيجة ومُخرجا لهذا الحوار، وهو واضح بفضل الله تعالى وحده.

(١) عيون المناظرات، أبو علي عمر السكوني، ص٢٩٩.

الخـاتمة

في ربط عجيب، وتناسق واضح، وبلاغة متكاملة، يذكر القرآن الكريم أسلوب الحوار، كأسلوب من أساليبه في إثبات المسائل العقدية والدعوية والتشريعة والأخلاقية، مما يدل على مدى الكم الذي انتهجه القرآن الكريم في هذا المضمار، ليؤكد على أهمية الحوار من جانب، وما يمكن أن يؤديه في مجال الدعوة إلى الله تعالى من جانب آخر.

والقرآن الكريم إذ يستخدم هذا الأسلوب الماتع والمؤثر، لا يذكره هكذا اعتباطا أو في صورة عشوائية، وحاشاه ذلك، بل قعَّد له القواعد، ووضع له الأصول، وربطه بالضوابط، وإذ به هكذا، فإنه يأتي عبر منهجية عجيبة، متكاملة، فريدة؛ إذ إن الذي قعَّد وأصَّلَ هو كلام الله تعالى، وكفى به مؤصِّلا ومُقعِّدا.

ولما كان القرآن الكريم قد أقام الحوار الديني على ضوابط وأصول ومنهجية واضحة، فلا غرو أن تأتي نتائج ذلك الحوار غاية في السلامة، وأبلغ ما يكون من المنطق، واتساق مع الأدلة، وتوافق مع العقل، واتفاق مع الفطرة، وتناغم مع صحة المقدمات التي ساقها القرآن الكريم.

إن الملاحظ في تلك القواعد التي ساقها القرآن الكريم، وربط بها الحوار، وأقامه عليها، قد جاءت في صورة متكاملة شاملة، فجمعت بين أصول الاستدلال، وعالجت الجانب النفسي في المحاوِر (الموضوعية)، وجمعت الكلمة على اتفاق بين المتحاورين، وعملت على تحرير محل النزاع بينهما، مما يعمل على تأليف الكلمة، وتقارب الفكرة، واتحاد المقصد، وتوافق الرؤية، مما يقل هوة الشقاق بين هذين المتحاورين.

ولم تكن تلك القواعد المنهجية التي ساقها القرآن الكريم للحوار هي فقط من اشتملت على تلك التكاملية والشمولية، بل كانت النتائج والمخرجات لها نصيب وافر من ذلك، فأقامت الحجة، وعملت على تقرير اليقين، وأبانت الحق، وصححت المفاهيم... الخ، مما يدل – في دلالة قاطعة – على مدى الأثر الذي تركه القرآن على أسلوب الحوار، ومدى الصحة التي وصل إليها من خلاله.

وفي بيان هذه الدراسة أسال الله تعالى أن يكون قد تحقق المقصد، واتضح الأثر، و صحَّت النتائج، وتم القطع بالمراد، وابتعدت مناهج الدراسة عن العطب، وسلمت النية من الشوائب، ووقع الثواب من الله تعالى.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

النتائج:

بعد تلك الدراسة – التي منَّ الله تعالى بها على الباحث –، يمكن استخلاص تلك النتائج المتعلقة بتلك

الدراسة في النقاط التالية:

١- لقد أثبتت الدراسة بما لا يدع مجالا للشك أن صورة التكامل بين العلوم لم يخلو منها القرآن الكريم إطلاقا، بل إنه أقامها وعرضها؛ فإذ به في معرض مناقشاته لأهل الكتاب – بما يمثل مقارنة الأديان –، يعرض ذلك – في الوقت ذاته – في صورة حوار هادئ هادف، بما يمثل هذا التكامل في آيات القرآن الكريم.

٢- اتضح أيضا أن الحوار الديني لابد له من قواعد وأصول ومناهج يتم من خلالها تحييده وتقيده بها؛ حتى تتم النتائج وتقع في أتم صحة وأبين سلامة.

٣- تبيَّن أيضا – بفضل الله تعالى – سبقُ القرآن الكريم في التقعيد والتأصيل لحوار ديني منضبط هادف، بل ولم يتوقف الأمر عند القواعد المنهجية، بل تطرقَ الأمر إلى نتائج ومخرجات ذلك الحوار، بما يعني شمولية تامة لذلك.

٤- تقرر كذلك من خلال الدراسة أن سلامة المخرجات لا تأتي من فراغ، بل لابد لها من مقدمات وقواعد تؤدي إليها أولاً، وإذا فُقِدت فستكون تلك النتائج والمخرجات كارثية بلا شك.

٥- إن الحق الذي لابد من تقرير نتائجه على الحوار الديني، أن علماء الإسلام هم الوحيدون الذي التزموا المنهج، وقرّروا النتائج الصحيحة، هذا مقارنة بآخرين من أتباع أديان أخرى، وما عرضه العلامة القرطبي ورحمت الله الهندي – في مناقشاته لبعض القساوسة –، فضلا عن الشيخ أحمد ديدات خير دليل على ذلك؛ إذ إن من يقارن بين هؤلاء العلماء – رحمهم الله جميعا – وبين مَنْ ناظروهم (الحوار) يمكن استنباط ذلك في أبهى صورة وأتم نتيجة بفضل الله تعالى.

٦- إن التكامل بين العلوم لا يكون – إطلاقا – من خلال التعسف في بيان ذلك التكامل، أو تحميل الأدلة والشواهد بما لا تحتمل، أو اقتباس نصوص ثم اجتزائها عن مساقاتها، أو التحاكم إلى نصوص شاذة أو ضعيفة، أو محاولة افتعال صورة هذا التكامل على غير الحقيقة، أو مصادرة المطلوب دون الرجوع إلى المقدمات الصحيحة... الخ، – بل التكامل الصحيح هو الذي يأتي تلقائيا، متمشيا مع المنهج الصحيح في كل أصوله وقواعده واستنباطاته. .الخ. وكل ذلك نطق به القرآن وأقام عليه الأدلة والشواهد، فبينما يربط القرآن الكريم بين الحوار وتقرير القضايا العقدية والتشريعية....الخ، يذكر ذلك في ترابط سهل لين، غير تعسفي على الإطلاق. وكل ذلك مما يتضح – بفضل الله تعالى من خلال تلك الدراسة – فلله كامل الحمد وعظيم المنة.

٧- يتضح من الدراسة أيضا أن كل قضايا الإسلام – فيما يتعلق بالحوارات الدينية – بفضل الله تعالى: قائمة على النقل الصحيح (أعني من القرآن الكريم قطعا، وأما من السنة النبوية فلابد من الاستيثاق)، قائمة

أيضا على المبادئ العقلية، والنزوع إلى الفطرة السليمة، والانطلاق من الآيات الكونية والإنسانية والتحكام إليها، وهذا قد ألقى بظلاله على الحوارات التي انبثقت من ذلك، وكل هذا نطقت به الدراسة، ولولا خوف الإطالة لبينت مواضع ذلك بفضل الله تعالى وحده.

٨- يظهر من خلال الدراسة أيضا، أن تلك القواعد التي ذكرها القرآن الكريم للحوار، لم تأت على نمط واحد أو صورة واحدة، بل إنه نوَّع فيها، وجعل لها أكثر من وجهة، وربطها بأكثر من زاوية، فهناك قواعد ترتبط بالاستدلال، وأخرى تتعلق بالمحاوِر ذاته، وثمة ثالثة تتعلق بالمبادئ والأسس المتفق عليها، وهو ما يقطع بسلامة تلك الحوارات الدينية ومدى منهجيتها.

التوصيات:

١- ينبغي إقامة الدراسات التي تعمل على إظهار تكامل العلوم والفنون فيما بينها، والإكثار من تلك الدراسات والحث عليها، وإقامة الاستدلالات المتنوعة في بيان ذلك، فلا شك أن في ذلك الأثر الطيب في مجال تلك العلوم والفنون على السواء.

٢- ومما ينبغي – في الكليات الشرعية عامة وأقسام الدعوة خاصة – الاهتمام الجيد والمتكرر بمبادئ الحوار وأصوله وقواعده وآدابه ومحاذيره، على أن يشتمل ذلك: المقارعات العقلية، والقياسات المتنوعة، وتعلم مبادئ الإفحام ومجاراة الخصم.....الخ، على العمل أن يصب ذلك في بوتقة الحوارات والمناظرات والجدال، وفي الوقت ذاته ينبغي أن يشمل هذا كله: الطلاب والباحثين والرسائل الجامعية على السواء.

٣- الانتقاء لمن يتصدون للحوار الديني أمر مطلوب، والاختيار المدَقَّق فيه أمر ضروري، وتحييد تلك القضية في أطر ضيقة أمر مندوب إليه؛ حتى لا يدخل هذا الباب مَن لا يحسنه، أو يرتاده من لا يجيده، وهنا تكون الطامة بلا شك.

٤- كثيرٌ من الحوارات والمناظرات والمجادلات قد يطويها طول الزمان، وقد يُنسيها تعاقب الدهور، وقد يعتورها نقصان بسبب ذلك، وإنّ من أهم ما ينبغي هنا المسارعة إلى تسجيل أي حوار أو مناظرة أو مناقشة أو جدال، مما يخص الحوار الديني خصوصا؛ وكتابة المستفاد منه والتعليق عليه بما يكمله؛ حتى تستفيد منه الأجيال، ويمكن تدريسه لمن رام ذلك بفضل الله تعالى.

٥- علم مقارنة الأديان مازال مجالا طيبا، وأرضا خصبة، ومعينا لم ينضب، ولم تنته الدراسات المتعلقة به، ومازالت هناك قضايا متعلقة به يمكن أن توصف بأنها مازالت بكرا، فحبذا لو تم حصر تلك القضايا، وبيان ما يتعلق بها، وحث الباحثين على ربطها بالحوار الديني، وما يمكن أن تؤديه تلك القضايا خدمة لهذا

الحوار، وما يمكن أن يؤديه الحوار خدمة لعلم مقارنة الأديان، ثم تقرير ذلك كله في مؤلفات ودراسات وأبحاث تقرر ذلك وتؤصل له، ولا يمكن بحال من الأحوال التنبؤ بهذا الأثر الذي سيتركه هذا الأمر على المستويين: علم مقارنة الأديان والحوار الديني.

٦- كثير من العلوم ما تحتاج إلى التجديد بين الفينة والأخرى، والحين والآخر؛ لتسارع الأزمنة، وتغير الأمكنة، وتجدد الحوادث، وتبدُل الظروف، وتنوع الأحوال، وتكاثر الوقائع التي لم تكن من قبل، وعلمُ مقارنة الأديان وكذا علم الحوار علمان جليلان من تلك العلوم، فينبغي الاهتمام بمسارات التجديد فيهما، بما يجمع بين أصالة القديم ومعاصرة الواقع الحاضر؛ حتى يمكن مجاراة الخصم ومحاصرته، ومدى إمكانية إفحامه وإقامة الحجة عليه، بما يكرّس للماضي القديم وعدم التنكر له من ناحية، والانفتاح على الجديد بما يتناسب مع الشرع الحنيف لمسايرة الواقع المتجدد من ناحية أخرى.

٧- إن من أكثر من الأمور التي ينبغي الاهتمام بها جيدا، إزالة العوائق والعقبات التي تعترض طريق علم الحوار الديني، فكم من دراسات ذات مقارنات دينية صحيحة، قائمة على منهجية منضبطة، وأطر قوية، ومضامين سليمة، ورؤى وتصورات تتفق مع العقل ولا تتأبى عليه إطلاقا، ومع ذلك لا يقر المخالف بها، ويجادل ويناقش في مقرراتها، وليس هذا عيب في تلك الدراسات المقارنة على الإطلاق؛ ولكنَّ ثمة عيبا في الخصم لتعلقه بشوائب ورواسب تعوق عمل تلك الدراسات الدينية، فينبغي الاهتمام بهذا كله، وما يقال في الدراسات الدينية المقارنة يقال في علم الحوار الديني، مثلا بمثل، سواء بسواء.

المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم، كتاب رب العالمين.

ثانيا: الكتاب المقدس.

ثالثا: كتب التفسير وعلوم القرآن:

١- البرهان في علوم القرآن. الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي. تحقيق: أ/ أبو الفضل الدمياطي. دار الحديث. القاهرة١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٢- التحبير في علم التفسير. الإمام جلال الدين السيوطي. تحقيق: أ. د/ فتحي عبد القادر فريد. دار العلوم. الرياض. ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م. الطبعة الأولى.

٣- تفسير التحرير والتنوير. الإمام محمد الطاهر ابن عاشور. الدر التونسية للنشر. تونس. ١٤٠٤ هـ-١٩٨٤م. بدون رقم طبع.

٤- تفسير القرآن العظيم. الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي. دار طيبة. المملكة العربية السعودية. ١٢٤٠هـ-١٩٩٩م. الطبعة الثانية.

٥- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب. الإمام محمد بن فخر الدين الرازي. دار الفكر. القاهرة. ١٤٠١هـ - ١٩٨١م. الطبعة الرابعة.

٦- التفسير الوسيط للقرآن الكريم. أ.د/ محمد سيد طنطاوي . مطبعة السعادة . القاهرة. ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م. الطبعة الثانية.

٧- جامع البيان عن تأويل آي القرآن. الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري. مؤسسة الرسالة. بيروت. ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م. الطبعة الأولى.

٨- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان. الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي. مؤسسة الرسالة. بيروت١٤٢٧ هـ-٢٠٠٦م. الطبعة الأولى.

٩- مجاز القرآن. أبو عبيدة بن المثنى. تعليق: د/ محمد فؤاد سزكين. مكتبة الخانجي.

١٠- الواضح في علوم القرآن. د/ مصطفى ديب البغا – د/ محيي الدين ديب مستو. دار الكلم الطيب، دمشق. ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م. الطبعة الثانية.

رابعا: كتب الحديث:

١١- الجامع الصحيح. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري. دار ابن كثير. دمشق. ١٤٢٣ هـ-٢٠٠٢م. الطبعة الأولى.

١٢- المستدرك على الصحيحين. الإمام أبو عبد الله الحاكم النيسابوري. دار الحرمين. ١٤١٧هـ-١٩٩٧ م. الطبعة الأولى.

١٣- المسند. الإمام أحمد بن محمد بن حنبل. تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر. دار الحديث. القاهرة. ١٤١٦هـ-١٩٩٥م. الطبعة الأولى.

١٤- المسند الصحيح. أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. تحقيق: أ/ محمد فؤاد عبد الباقي. دار الحديث. مصر. ١٤١٢هـ-١٩٩١م. الطبعة الأولى.

١٥- سنن النسائي. أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي. مكتبة المعارف. الرياض. ١٤١٧هـ-١٩٩٧. الطبعة

الأولى.
١٦ - الجامع الكبير. محمد بن عيسى بن سورة الترمذي. مكتبة المعارف. الرياض. ١٤١٧هـ - ١٩٩٧. الطبعة الأولى.
١٧ - سنن ابن ماجة. أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني المشهور بابن ماجة مكتبة المعارف. الرياض. ١٤١٧هـ - ١٩٩٧. الطبعة الأولى.

خامسا: كتب اللغة والمعاجم والموسوعات:

١٨ - تهذيب اللغة. أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي. تحقيق: أ/ عبد السلام محمد هارون. مطبوعات الدار المصرية للتأليف والنشر. مصر. بدون تاريخ ولا رقم طبع.
١٩ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. إسماعيل بن حماد الجوهري. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. بيروت. دار العلم للملايين. ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م. الطبعة الرابعة.
٢٠ - المحكم والمحيط الأعظم. علي بن إسماعيل بن سيده. تحقيق: أ. د/ عبد الحميد هنداوي. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م. الطبعة الأولى.
٢١ - معجم البلدان. الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي. دار صادر. بيروت. ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧م
٢٢ - معجم التعريفات. علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني. دار الفضيلة للنشر والتوزيع. مصر. بدون تاريخ.
٢٣ - معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس. مصر. دار الفكر. بدون تاريخ.
٢٤ - المعجم الفلسفي. مجمع اللغة العربية. المطابع العامة لشؤون المطابع الأميرية. القاهرة. ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٢٥ - معجم اللغة العربية المعاصرة. أ. د/ أحمد مختار عمر. مطبوعات عالم الكتب. مصر. ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م. الطبعة الأولى.
٢٦ - المعجم الوسيط. مصر. مكتبة الشروق الدولية. ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م. الطبعة الرابعة.
٢٧ - المفردات في غريب القرآن. أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني. مكتبة نزار مصطفى الباز. بدون ذكر اسم البلد ولا رقم الطبع والتاريخ.
٢٨ - الموسوعة الإسلامية العامة. مجموعة مؤلفين. إشراف: أ. د/ محمود حمدي زقزوق. مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - وزارة الأوقاف المصرية. القاهرة. ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٢٩ - الموسوعة العربية الميسرة. مجموعة مؤلفين. المكتبة العصرية. بيروت. ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠. الطبعة الثالثة.
٣٠ - موسوعة كشاف مصطلحات الفنون والعلوم. محمد علي التهانوي. تحقيق: د/ علي دحروج. مكتبة لبنان ناشرون. بيروت ١٤١٤هـ - ١٩٩٦م. الطبعة الأولى.
٣١ - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة. مجموعة مؤلفين. مطبوعات دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي. السعودية. ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م. الطبعة الثالثة.

سادسا: أصول الفقه:

٣٢ - إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول. محمد بن علي الشوكاني. دار الفضيلة. الرياض. ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م. الطبعة الأولى.
٣٣ - البحر المحيط في أصول الفقه. بدر الدين محمد بن عبد الله الشافعي الزركشي. مطبوعات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت. الكويت. ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م. الطبعة الثانية.

سابعا: كتب التراجم:

٣٤- إتمام الأعلام – ذيل لكتاب الأعلام لخير الدين الزركلي. د/ نزار أباظة – محمد رياض المالح. دار صادر. بيروت. ١٤١٠ هـ - ١٩٩٩م. الطبعة الأولى.

٣٥- الأعلام. خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين. بيروت. ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م. الطبعة الخامسة.

٣٦- الأنساب. أبو المنذر سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري. تحقيق: د/ محمد إحسان النص. بدون اسم الدار والبلد. ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م. الطبعة الرابعة.

٣٧- تتمة الأعلام للزركلي. محمد خير رمضان يوسف. دار ابن حزم. بيروت. ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م. الطبعة الثانية.

٣٨- جمهرة أنساب العرب. الإمام أبو محمد علي بن أحمد سعيد بن حزم. تحقيق: أ/ عبد السلام هارون. دار المعارف. القاهرة. بدون تاريخ. الطبعة الخامسة.

٣٩- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب. إبراهيم بن نور الدين بن فرحون المالكي. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م. الطبعة الأولى.

٤٠- الذيل على طبقات الحنابلة. زين الدين أبي الفرج ابن رجب. دار المعرفة. بيروت. تاريخ. بدون.

٤١- سير أعلام النبلاء. الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. مؤسسة الرسالة. بيروت. ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م. الطبعة الأولى

٤٢- شذرات الذهب في أخبار من ذهب. ابن العماد الحنبلي. دار ابن كثير. دمشق ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م. الطبعة الأولى.

٤٣- فوات الوفيات. محمد بن شاكر الكتبي. دار صادر. بيروت. بدون تاريخ.

٤٤- معجم الأدباء المسمى بـ (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب). ياقوت الحموي الرومي. تحقيق: د/إحسان عباس. دار الغرب الإسلامي. ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م. الطبعة الأولى.

٤٥- معجم المؤلفين – تراجم مصنفي الكتب العربية. عمر رضا كحالة. مؤسسة الرسالة. دمشق. بدون تاريخ طبع.

٤٦- المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد. محمد بن عبد الرحمن المقدسي الحنبلي. بيروت. دار صادر. تاريخ. بدون.

٤٧- الوافي بالوفيات. صلاح الدين بن خليل بن أيبك الصفدي. دار إحياء التراث العربي. بيروت. ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م. الطبعة الأولى.

٤٨- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان. دار صادر. بيروت. بدون تاريخ.

٤٩- هذه حياتي - سيرتي ومسيرتي. أحمد ديدات. نسخة إليكترونية.

ثامنا: مقارنة الأديان:

٥٠- الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام. الإمام القرطبي. تحقيق: د/ أحمد حجازي السقا. دار التراث العربي. بدون تاريخ ولا رقم طبع.

٥١- الإنسان في ظل الأديان. أ. د/ عمارة نجيب. مكتبة المعارف. الرياض. بدون تاريخ ولا رقم طبع.

٥٢- الإنسان والأديان – دراسة مقارنة. أ. د/ محمد كمال جعفر. دار الثقافة. الدوحة – قطر. ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م. الطبعة الأولى.

٥٣- بين الإنجيل والقرآن. الشيخ أحمد ديدات. مطبوعات مجلة المختار الإسلامي. مصر. بدون تاريخ.
٥٤- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة. أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني. دار الكتب. بيروت. بدون تاريخ ولا رقم طبع.
٥٥- حوار الأديان في الأندلس. أبو العباس القرطبي. تحقيق: د/ أحمد حجازي السقا. مكتبة مدبولي الصغير. بدون ذكر اسم البلد والتاريخ ورقم الطبع.
٥٦- الدين – بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان. د/ محمد عبد الله دراز. دار القلم. الكويت. بدون تاريخ ولا رقم طبع.
٥٧- شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل. الإمام أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني. تحقيق: د/ أحمد حجازي السقا. مكتبة الكليات الأزهرية. ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨م. الطبعة الأولى.
٥٨- قاموس الكتاب المقدس. مجموعة مؤلفين. دار الثقافة. القاهرة ١٩٩٥م. الطبعة العاشرة.
٥٩- في علم الدين المقارن – مقالات في المنهج. د/ دين محمد محمد ميرا. دار البصائر. القاهرة ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م. الطبعة الأولى.
٦٠- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى. الإمام محمد ابن قيم الجوزية. تحقيق: د/ محمد أحمد الحاج. دار القلم. دمشق. ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م. الطبعة الأولى.

تاسعا: كتب الحوار:

٦١- أدب الحوار في الإسلام. أ. د/ محمد سيد طنطاوي. دار نهضة مصر. القاهرة. ١٤١٦ هـ.
٦٢- أصول الحوار وآدابه في الإسلام. صالح بن عبد الله بن حميد. دار المنارة للنشر والتوزيع. السعودية. ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.
٦٣- الحوار الإسلامي المسيحي – الفرص والتحديات. د/ يوسف الحسن. مطبوعات ومنشورات المجمع الثقافي. أبو ظبي (الإمارات العربية المتحدة). ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م. الطبعة الأولى.
٦٤- الحوار الإسلامي المسيحي: المبادئ - التاريخ – الموضوعات - الأهداف. بسام داوود عجك. دار قتيبة. بدون ذكر اسم البلد. ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م. الطبعة الأولى.
٦٥- الحوار: أصوله المنهجية وآدابه السلوكية. أحمد بن عبد الرحمن الصويان. دار الوطن. الرياض. ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م. الطبعة الأولى.
٦٦- الحوار بين الأديان: أسراره وخفاياه. د/ عبد الجليل شلبي. دار الاعتصام. القاهرة. بدون تاريخ طبع
٦٧- الحوار في الإسلام. أ. د/ عبد الله بن حسين الموجان. مطبوعات مركز الكون. السعودية. ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م. الطبعة الأولى.
٦٨- الحوار مع أتباع الأديان – مشروعيته وآدابه. د/ منقذ بن محمود السقار. مطبوعات رابطة العالم الإسلامي. السعودية. بدون تاريخ ولا رقم طبع.
٦٩- الحوار مع أهل الكتاب- أسسه مناهجه من القرآن والسنة. خالد عبد الله القاسم. مطبوعات دار المسلم.

الرياض. ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م. الطبعة الأولى.
٧٠- الحوار: منهجا وثقافة. أ. د/ محمد خليفة حسن. مطبوعات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة قطر. الدوحة. ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م. الطبعة الأولى.
٧١- عيون المناظرات. أبو علي عمر السكوني. تحقيق: سعد غراب. منشورات الجامعة التونسية. تونس.
٧٢- مناظرة الهند الكبرى بين الشيخ رحمت الله الهندي والقس بافندر. تحقيق وتعليق: د/ أحمد حجازي السقا. مكتبة الإيمان. المنصورة. ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م. الطبعة الأولى.

عاشرا: كتب عامة تحت فنون وعلوم مختلفة:

٧٣- أبجديات البحث في العلوم الشرعية - محاولة في التأصيل المنهجي. د/ فريد الأنصاري. مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء. ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م. الطبعة الأولى.
٧٤- أطلس دول العالم الإسلامي. د/ شوقي أبو خليل. دار الفكر. دمشق. ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٧٥- البداية والنهاية. أبو الفداء إسماعيل بن كثير. مكتبة المعارف. بيروت. تاريخ. بدون.
٧٦- تاريخ الجدل. الإمام محمد أبو زهرة. دار الفكر العربي. القاهرة. ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م.
٧٧- درء تعارض العقل مع النقل. الإمام أحمد بن تيمية. تحقيق: د/ محمد رشاد سالم. مطبوات إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود. السعودية. ١٤١١هـ - ١٩٩١م. الطبعة الثانية.
٧٨- الشيخ أحمد ديدات ومنهجه في الحوار والدعوة وأهم مجالاته التطبيقية الممكنة. حمزة مصطفى ميغا. مطبوعات كلية الدعوة الإسلامية. طرابلس. ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
٧٩- فقه التعامل مع المخالف. د/ عبد الله بن إبراهيم الطريقي. دار الوطن. الرياض.
٨٠- الكافية في الجدل. الإمام أبو المعالي عبدالملك بن عبد الله بن يوسف الجويني. تحقيق: أ. د/ فوقية حسين محمود. مطبعة عيسى الحلبي. القاهرة. ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م.
٨١- الكامل في التاريخ. الإمام محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م. الطبعة الأولى.
٨٢- مناهج البحث العلمي. د/ عبد الرحمن بدوي. الكويت. وكالة المطبوعات. ١٣٧٨هـ - ١٩٧٧م.
٨٣- المنهاج في ترتيب الحجاج. الإمام أبو الوليد الباجي. دار الغرب الإسلامي. بيروت. ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٧م. الطبعة الثانية.
٨٤- منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد. د/ عثمان علي حسن. دار إشبيليا للنشر والطباعة. المملكة العربية السعودية. ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م. الطبعة الأولى.

حادي عاشر: المجلات والحوليات والدوريات والجرائد والمؤتمرات والرسائل:

٨٥- تحرير محل النزاع في المسائل الفقهية. د/ إسماعيل غازي أحمد. مجلة الشريعة والدراسات الاسلامية. الكويت. ج (٢٧)، العدد (٩٠). شوال ١٤٣٣هـ - سبتمبر ٢٠١٢م.

٨٦- الحوار: أصوله وضوابطه وأثره في الدعوة الإسلامية أ/ يوسف فرحات. بحث مقدم لمؤتمر (الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر)، والمنعقد في كلية أصول الدين – الجامعة الإسلامية بغزة في الفترة (٧ – ٨ ربيع الأول ١٤٢٦هـ - ١٦ – ١٧ إبريل ٢٠٠٥).

٨٧- مقارنة بين أسلوب الإمامين القرطبي والقرافي. د/ بيسان صالح حسن. رسالة دكتوراه. قسم الدعوة والاحتساب. كلية الدعوة والإعلام. جامعة الإمام محمد بن سعود. المملكة العربية السعودية. ١٤٢٠ – ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠ – ٢٠٠١م.

فهرس المحتويات

المقدمة ٢٠٤
التمهيد ٢١٠
أولاً: بيان مفردات عنوان البحث ٢١٠
ثانياً: بيان العلاقة بين الحوار الديني وضرورة المنهجية فيه ٢٢١
المبحث الأول: قواعد البناء المنهجية للحوار الديني من خلال آيات القرآن الكريم ٢٢٦
المطلب الأول: الموضوعية ٢٢٧
المطلب الثاني: تحديد الألفاظ وعدم التعميم ٢٣١
المطلب الثالث: إقامة الدليل ٢٣٦
المطلب الرابع: وثاقة النص أو القول ٢٣٩
المطلب الخامس: العلم بموضوع المحاورة، وكذا فهمه ٢٤٣
المطلب السادس: الانطلاق في الحوار من المبادئ المتفق عليها ٢٥٠
المطلب السابع: تحرير محل النزاع حالة الحوار الديني ٢٥٤
المبحث الثاني: بيان مخرجات الحوار الديني من خلال آيات القرآن الكريم ٢٥٩
المطلب الأول: إزالة الشبهات ٢٦٠
المطلب الثاني: إعمال العقول وإلغاء التقليد ٢٦٥
المطلب الثالث: إقامة الحجة ٢٦٩
المطلب الرابع: بيان الحق وتقريره ٢٧٢
المطلب الخامس: تصحيح المفاهيم ٢٧٦
المطلب السادس: قوة اليقين ٢٧٩
الخاتمة ٢٨٣
المصادر والمراجع ٢٨٧
فهرس المحتويات ٢٩٣